الكتاب الجامع للفضائل

(٧٦)

متفرقات - ط

الشيخ/ندا أبو أحمد



الكتاب الجامع للفضائل

(متفرقات - ط)

تمهيد

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهد اللهُ فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولُه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء:١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧٠،٧١)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله - تعالى -، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

نبض الرسالة

١- فضل حسن التربية والسعي على البنات أو الأخوات:

أ- من عال أختين أو أبنتين وأحسن إليهن كن له حجابًا وسترًا من النار.

ب- من عال أختين أو أبنتين وأحسن إليهن وجبت له الجنة.

٢- فضل السعي على الأرملة والمسكين.

٣- فضل كفالة اليتيم والنفقة عليه.

مَن قام بحق اليتيم فقد وجبت له الجَنَّة.

٤- فضل المسح على رأس اليتيم:

من مسح رأس اليتيم بدافع الرحمة به والشفقة عليه، ذهب عنه قسوة القلب.

٥- فضل من زار أخًا له في الله:

٦- فضل قضاء حوائج المسلمين:

أ- صنائع المعروف وقضاء حوائج الناس يقي من مصارع السوء.

ب- قضاء حوائج الناس سبيل للنجاة من النار والفوز بالجنة.

٧- فضل إغاثة الملهوف:

٨- فضل التآلف مع الناس:

المؤمن الذي يألف ويؤلف هو من أكمل الناس.

٩- فضل من ألان الكلام للناس:

١٠- فضل وثواب الستر:

١١- فضل من ردَّ غيبة أخيه المسلم وذّبَّ عن عرضه:

١٢- فضل دعاء المسلم لأخيه المسلم بظهر الغيب:

١٣- فضل من حمى مؤمنًا من منافقٍ:

١٤- فضل الإحسان إلى الجار:

أ- فالمسلم الحق هو الذي يُحسن إلى جاره.

ب- جعل الإسلام الإحسان إلى الجار من علامات أهل الإيمان.

جـ- النبي ﷺ ينفي الإيمان عمن يؤذي جاره.

د- مَن أراد أن يحبَّه الله ورسوله فليحسن إلي جاره.

هـ- حسن الجوار يزيد في العمر ويعمّر الديار.

و- خَيْرُ الجِيرَانِ عِنْدَ اللَّه تَعَالَى خيْرُهُمْ لجارِهِ.

ز- أذى الجار سبب دخول النار.

حـ- أذى الجار سبب لعدم دخول الجنة.

ط- من أراد أن يدخل الجنة فليحسن إلي جاره.

١٥- فضل إكرام الضيف:

أ- الله تعالى يحب من يكرم ضيفه.

ب- لا خير فيمن لا يكرم ضيفه.

جـ- خير الناس من يكرم ضيفه ويحسن إليه.

١- فضل حسن التربية والسعي على البنات أو الأخوات:

أ- من عال أختين أو ابنتين وأحسن إليهن كن له حجابًا وسترًا من النار:

أخرج الإمام أحمد وابن ماجه واللفظ له من حديث عقبة بن عامر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " مَن كانَ لَهُ ثلاثُ بَناتٍ فصبرَ عليهنَّ، وأطعمَهُنَّ، وسقاهنَّ، وَكَساهنَّ من جِدَتِهِ كنَّ لَهُ حجابًا منَ النَّارِ يومَ القيامَةِ ". (صحيح ابن ماجه: ٢٩٧٤)

وأخرج البخاري ومسلم من حديث عائشة -رضِي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: " دَخَلَتِ امْرَأَةٌ معها ابْنَتَانِ لَهَا تَسْأَلُ، فَلَمْ تَجِدْ عِندِي شيئًا غيرَ تَمْرَةٍ، فأعْطَيْتُهَا إيَّاها، فقَسمَتْها بيْنَ ابْنَتَيْهَا، ولَمْ تَأْكُلْ منها، ثُمَّ قَامَتْ، فَخَرَجَتْ، فَدَخَلَ النبيُّ ﷺ عَلَيْنَا، فأخْبَرْتُهُ فَقالَ: مَنِ ابْتُلِيَ[١] مِن هذِه البَنَاتِ بشيءٍ كُنَّ له سِتْرًا مِنَ النَّارِ ".

ب- من عال أختين أو ابنتين وأحسن إليهن وجبت له الجنة:

أخرج الإمام أحمد وابن ماجه واللفظ له من حديث ابن عباس -رضِي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: " ما مِن رجلٍ تدرِكُ لَهُ ابنتانِ، فيُحسِنُ إليهما ما صحِبتاهُ أو صحبَهُما إلَّا أدخلَتاهُ الجنَّةَ ".

(صحيح ابن ماجه: ٢٩٧٥)

وأخرج الإمام أحمد وأبو يعلى والطبراني في" المعجم الأوسط" من حديث جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " مَن كُنَّ له ثَلاثُ بناتٍ يُؤْويهنَّ، ويَرحَمُهُنَّ، ويَكفُلُهُنَّ، وجبَتْ له الجنَّةُ البتَّةَ، قال: قيل: يا رسولَ اللهِ: فإنْ كانتِ اثنتَيْنِ؟ قال: وإنْ كانتِ اثنتَيْنِ، قال: فرأى بعضُ القومِ أنْ لو قالوا له: واحدةً، لقال: واحدةً ". (صححه شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند)

وأخرج الإمام مسلم من حديث عائشة -رضِي الله عنها- قالت: " جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا، فأطْعَمْتُهَا ثَلَاثَ تَمَرَاتٍ، فأعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ منهما تَمْرَةً، وَرَفَعَتْ إلى فِيهَا[٢] تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا، فَاسْتَطْعَمَتْهَا ابْنَتَاهَا، فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ الَّتي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بيْنَهُمَا، فأعْجَبَنِي شَأْنُهَا، فَذَكَرْتُ الَّذي صَنَعَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقالَ: إنَّ اللَّهَ قدْ أَوْجَبَ لَهَا بهَا الجَنَّةَ، أَوْ أَعْتَقَهَا بهَا مِنَ النَّارِ ".

جـ- ومن أحسن إليهن سيكون في أعلى درجات الجنة مع الحبيب النبي ﷺ:

فقد أخرج الإمام مسلم والترمذي واللفظ له من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " من عالَ جاريتينِ دخلتُ أنا وَهوَ الجنَّةَ كَهاتينِ وأشارَ بأصبُعَيْهِ ". (صحيح الترمذي: ١٩١٤)

١- الابتلاء: الاختبار بما ظهر به التزام الحق والشرع أو عدمه، يقول الإمام النووي -رحمه الله- كما في " شرح مسلم" (١٦/١٧٩): وقوله: " مَن ابتلي بشيءٍ من البنات": " إنما سماه ابتلاء؛ لأن الناس يكرهونهن في العادة". اهـ

٢- فيها: أي فمها.

وأخرج ابن حبان من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " مَن عالَ ابنتين أو ثلاثًا، أو أختينِ أو ثلاثًا حتَّى يَبِنَّ، أو يموتَ عنهنَّ؛ كنتُ أنا وهوَ في الجنَّةِ كَهاتينِ. وأشار بأُصْبُعيهِ السبَّابة والتي تلِيها ". (صحيح الترغيب والترهيب:١٩٧٠)

- *في رواية:* " من عالَ ابنتيْنِ، أو ثلاثَ بناتٍ، أو أختيْنِ أو ثلاثَ أخواتٍ، حتى يَمُتْنَ، - وفي روايةٍ: يَبِنَّ[1]، وفي أخرى: يبلُغْنَ- أو يموتُ عنهن كنتُ أنا وهوَ كهاتيْنِ، وأشار بإصبعيْهِ السبابةَ والوسطى".

(السلسلة الصحيحة: ٢٩٦)

وأخرج الإمام مسلم من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " مَن عالَ جارِيَتَيْنِ حتَّى تَبْلُغا، جاءَ يَومَ القِيامَةِ أنا وهو وضَمَّ أصابِعَهُ ".

٢- فضل السعي على الأرملة والمسكين:

أخرج البخاري من حديث صفوان بن سليم ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " السَّاعِي علَى الأرْمَلَةِ[2] والمِسْكِينِ كالْمُجاهِدِ في سَبيلِ اللَّهِ، أوْ كالَّذِي يَصُومُ النَّهارَ ويقومُ اللَّيْلَ ".

- *وفي رواية:* " كالقائمِ لا يَفْتُرُ [3]، وكالصَّائمِ لا يُفْطِرُ ". (رواه البخاري)

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " السَّاعِي علَى الأرْمَلَةِ والمِسْكِينِ، كالْمُجاهِدِ في سَبيلِ اللَّهِ، أوِ القائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهارَ ".

السَّاعِيَ على الأَرملةِ والمسكينِ، وهو الَّذي يقومُ بمصالِحهما ومُؤنَتِهما وما يَلزمُهما، والأرْمَلةُ هي المرأةُ الَّتي مات عنها زوجُها، سواءٌ كان له منها ولَدٌ أو لم يكُنْ، وسُمِّيَت بذلك لِما يحصُلُ لها من الإرمالِ، وهو الفَقرُ وذَهابُ الزادِ بفَقدِ الزَّوجِ، والمسكينُ الَّذي ليس له مِنَ المالِ ما يَسُدُّ حاجتَه؛ فالسَّاعي عليهما له مِثلُ أجرِ المجاهدِ في سبيلِ اللهِ لإعلاءِ كَلمةِ اللهِ تعالى، أو مِثلُ أجرِ الذي يَقومُ لَيلَه بالصَّلاةِ والذِّكرِ والدُّعاءِ، الصَّائمُ بالنَّهارِ؛ فعلى مَن عجَزَ عَنِ الجهادِ في سَبيلِ اللهِ، وعنْ قيامِ اللَّيلِ، وصِيامِ النَّهارِ؛ أنْ يَعملَ بهذا الحديثِ، ولْيَسْعَ على الأرامِلِ والمساكينِ؛ لِيُحشَرَ يومَ القِيامةِ في جُملةِ المجاهِدينَ في سَبيلِ الله دُونَ أنْ يَخْطوَ في ذلك خُطوةً، أو يَلْقَى عَدوًّا يَرتاعُ بِلقائِه، أو لِيُحشرَ في زُمرةِ الصَّائِمينَ والقائِمينَ ويَنالَ درجتَهم وهو طاعِمٌ نهارَه نائمٌ لَيلَه أيَّامَ حياتِه؛ فيَنبغي لِكلِّ مُؤمنٍ أنْ يَحرِصَ على هذه التِّجارةِ الَّتي لا تَبورُ، وذلك فضْلُ اللهِ يُؤتيهِ مَنْ يشاءُ، كما قال اللهُ تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (الجمعة: ٤).

(الدرر السنية)

١- حتى يَبِنَّ: أي: يَنْفَصِلْنَ عنه بتَزْويجٍ أو مَوْتٍ.

٢- الأرملَة: من لا زوج لها، وقيل الّتي مات عنها زوجها، غنيّة كانت أم فقيرة، قال ابن قُتيبة: "سُمّيت أرملة لما يحصل لها من الإرمال، وهو الفقر وذهاب الزّاد بفقد الزّوج، يُقال أرمل الرّجل، إذا فَنِيَ زاده".

٣- لا يَفتُر: من الفُتُور وهو الانكسار والملل والضّعف، والمُراد لا يتوقّف أو لا يستريح أو لا ينقطع أو لا يملّ. وتعني في اللغة العربية "يضعفه" أو " يجعله يلين بعد شدّة".

٣- فضل كفالة اليتيم والنفقة عليه:

وكفالة اليتيم تكون عن طريق بذل المال، والعناية، والتربية، والرعاية، والتوجيه، والحماية، وباللمسة الحانية، والبسمة الصافية، والكلمة الرقيقة، والنصيحة الصادقة، والقيام بالمصالح، والقضاء للحوائج، والحنان بمَن فقد الحنان، والرعاية لمَن حُرِم الأمان. (بذل المعروف: ص٢٧٨)

قال تعالى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ (سورة النساء: ٣٦)

قال السعدي-رحمه الله- في تفسير هذه الآية: " يأمر تعالى عباده بعبادته وحده لا شريك له، وهو الدخول تحت رق عبوديته، والانقياد لأوامره ونواهيه، محبة وذلًا وإخلاصًا له، في جميع العبادات الظاهرة والباطنة. وينهى عن الشرك به شيئا لا شركًا أصغر ولا أكبر، لا ملكًا ولا نبيًا ولا وليًا ولا غيرهم من المخلوقين الذين لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، بل الواجب المتعين إخلاص العبادة لمن له الكمال المطلق من جميع الوجوه، وله التدبير الكامل الذي لا يشركه ولا يعينه عليه أحد. ثم بعد ما أمر بعبادته والقيام بحقه أمر بالقيام بحقوق العباد الأقرب فالأقرب. فقال: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ أي: أحسنوا إليهم بالقول الكريم والخطاب اللطيف والفعل الجميل بطاعة أمرهما واجتناب نهيهما والإنفاق عليهما وإكرام من له تعلق بهما وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا بهما. وللإحسان ضدان، الإساءةُ وعدمُ الإحسان. وكلاهما منهي عنه. ﴿وَبِذِي الْقُرْبَى﴾ أيضًا إحسانًا، ويشمل ذلك جميع الأقارب، قربوا أو بعدوا، بأن يحسن إليهم بالقول والفعل، وأن لا يقطع برحمه بقوله أو فعله. ﴿وَالْيَتَامَى﴾ أي: الذين فقدوا آباءهم وهم صغار، فلهم حق على المسلمين، سواء كانوا أقارب أو غيرهم بكفالتهم وبرهم وجبر خواطرهم وتأديبهم، وتربيتهم أحسن تربية في مصالح دينهم ودنياهم. ﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾ وهم الذين أسكنتهم الحاجة والفقر، فلم يحصلوا على كفايتهم، ولا كفاية من يمونون، فأمر الله تعالى بالإحسان إليهم، بسد خلتهم وبدفع فاقتهم، والحض على ذلك، والقيام بما يمكن منه. ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾ أي: الجار القريب الذي له حقان حق الجوار وحق القرابة، فله على جاره حق وإحسان راجع إلى العرف. ﴿و﴾ كذلك ﴿الْجَارِ الْجُنُبِ﴾ أي: الذي ليس له قرابة. وكلما كان الجار أقرب بابًا كان آكد حقًّا، فينبغي للجار أن يتعاهد جاره بالهدية والصدقة والدعوة واللطافة بالأقوال والأفعال وعدم أذيته بقول أو فعل. ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾ قيل: الرفيق في السفر، وقيل: الزوجة، وقيل الصاحب مطلقا، ولعله أولى، فإنه يشمل الصاحب في الحضر والسفر ويشمل الزوجة. فعلى الصاحب لصاحبه حق زائد على مجرد إسلامه، من مساعدته على أمور دينه ودنياه، والنصح له؛ والوفاء معه في اليسر والعسر، والمنشط والمكره، وأن يحب له ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه، وكلما زادت الصحبة تأكد الحق وزاد. ﴿وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ وهو: الغريب الذي احتاج

في بلد الغربة أو لم يحتج، فله حق على المسلمين لشدة حاجته وكونه في غير وطنه بتبليغه إلى مقصوده أو بعض مقصوده (وبإكرامه وتأنيسه) ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: أي: من الآدميين والبهائم بالقيام بكفايتهم وعدم تحميلهم ما يشق عليهم وإعانتهم على ما يتحملون، وتأديبهم لما فيه مصلحتهم. فمن قام بهذه المأمورات فهو الخاضع لربه، المتواضع لعباد الله، المنقاد لأمر الله وشرعه، الذي يستحق الثواب الجزيل والثناء الجميل، ومن لم يقم بذلك فإنه عبد معرض عن ربه، غير منقاد لأوامره، ولا متواضع للخلق، بل هو متكبر على عباد الله معجب بنفسه فخور بقوله، ولهذا قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا﴾ أي: معجبا بنفسه متكبرًا على الخلق ﴿فَخُورًا﴾ يثني على نفسه ويمدحها على وجه الفخر والبطر على عباد الله، فهؤلاء ما بهم من الاختيال والفخر يمنعهم من القيام بالحقوق.

وقال تعالى: ﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ[١] أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ[٢] وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ[٣] وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ[٤] فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ[٥] وَحِينَ الْبَأْسِ[٦] أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾

(البقرة: ١٧٧)

أي ليس الخير عند الله تعالى في التوجه في الصلاة إلى جهة المشرق والمغرب إن لم يكن عن أمر الله وشرعه، وإنما الخير كل الخير هو إيمان من آمن بالله وصدَّق به معبودًا وحدَه لا شريك له، وآمن بيوم البعث والجزاء، وبالملائكة جميعًا، وبالكتب المنزلة كافة، وبجميع النبيين من غير تفريق، وأعطى المال تطوُّعًا – مع شدة حبه– ذوي القربى، واليتامى المحتاجين الذين مات آباؤهم وهم دون سن البلوغ، والمساكين الذين أرهقهم الفقر، والمسافرين المحتاجين الذين بَعُدوا عن أهلهم ومالهم، والسائلين الذين اضطروا إلى السؤال لشدة حاجتهم، وأنفق في تحرير الرقيق والأسرى، وأقام الصلاة، وأدى الزكاة المفروضة، والذين يوفون بالعهود، ومن صبر في حال فقره ومرضه، وفي شدة القتال. أولئك المتصفون بهذه الصفات هم الذين صدقوا في إيمانهم، وأولئك هم الذين اتقَوا عقاب الله فتجنبوا معاصيه.

١ـ البِرّ: هو التوسّع في الطاعات و أعمال الخير.
٢ـ ابنَ السّبيل: المسافر الّذي انقطع عن أهله.
٣ـ في الرّقاب: في تحريرها من الرّق أو الأسر.
٤ـ الصّابرين: أخصّ الصّابرين لمزيد فضلهم.
٥ـ البأساء و الضّرّاء: البؤس و الفقر و السّقم و الألم.
٦ـ حين البأس: وقت قتال العدو.

وقال تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢١٥)

أي يسألك أصحابك - أيها النبي- أي شيء ينفقون من أصناف أموالهم تقربًا إلى الله تعالى، وعلى مَن ينفقون؟ قل لهم: أنفقوا أيَّ خير يتيسر لكم من أصناف المال الحلال الطيب، واجعلوا نفقتكم للوالدين، والأقربين من أهلكم وذوي أرحامكم، واليتامى، والفقراء، والمسافر المحتاج الذي بَعُدَ عن أهله وماله. وما تفعلوا من خير فإن الله تعالى به عليم.

وقال تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾ (سورة الإنسان: ٨)

قال السعدي-رحمه الله-: وقوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾، أي على حب الطعام وقلته وشهوتهم له وحاجتهم إليه. وقيل: على حب الله عز وجل، ﴿مسكينًا ﴾، فقيرًا لا مال له، ﴿ويتيمًا﴾، صغيرًا لا أب له...، ويقصدون بإنفاقهم وإطعامهم وجه الله تعالى، ويقولون بلسان الحال: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ أي: لا جزاء ماليًا ولا ثناء قوليًا.

أخرج البخاري والترمذي واللفظ له من حديث سهل بن سعد الساعدي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" أنا وَكافلُ اليتيمِ في الجنَّةِ كَهاتين، وأشارَ بأصبُعَيْهِ يعني: السَّبَّابةَ والوسطى ". (صحيح الترمذي: ١٩١٨)

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" كافِلُ اليَتِيمِ له، أوْ لِغَيْرِهِ أنا وهو كَهاتَيْنِ في الجَنَّةِ وأَشارَ مالِكٌ بالسَّبَّابَةِ والْوُسْطَى ".**

كافِلُ اليَتيمِ، وهُو المُربِّي لَه والقائِمُ بأَمرِه، سواءٌ كان هذا اليتيمُ له قَرابًا منه كالأم تكفل ولده اليتم أو الجد أو الجدة أو الأخ، أو كان من غيرِ قَرابتِه أي أجنبيًا عنه، فوَعَدَه النَّبيُّ ﷺ بأنَّه يكونُ في الجنَّةِ مُصاحبًا لَه ﷺ؛ لعِظَمِ أَجرِه عِندَ اللهِ تَعالى، واليَتيمُ هو مَن مات أبوهُ وهو صَغيرٌ دونَ سِنِّ البُلوغِ، فإذا بلَغَ زال عنه اسمُ اليُتمِ، والمرادُ بكَفالتِه: رِعايتُه والقِيامُ بشُؤونِه، وحِفظِ مالِه -إنْ كان له مالٌ- بما يكونُ أصْلَحَ له وأنفَعَ؛ بالمُحافَظةِ عليه، وتَنْميتِه وتَثْميرِه في الوُجوهِ المأْمونةِ الَّتي يَغلِبُ على الظَّنِّ -بحَسَبِ العادةِ- أنْ لا خَسارةَ فيها، وذلك إلى وَقتِ بُلوغِه، فإذا بلَغَ وأُونِسَ منه رُشْدٌ، وحُسْنُ تَصرُّفٍ؛ دُفِعَ مالُه إليه.

(الدرر السنية)

تنبيه: هذا الحديث لا يدل على أن كافل اليتيم في نفس درجة النبي ﷺ، فهذا لا يكون، فإن النبي ﷺ في مكانة ومنزلة ودرجة لا يساميه فيها أحد، ولا يشاركه فيها أحد، لكن كافل اليتيم سيكون في درجة أقل من درجة النبي ﷺ، ***ودليل ذلك ما أخرجه البخاري من حديث سهل بن سعد ﷺ أن النبي ﷺ قال:*** **" أنا وكافل اليتيم في الجنَّة هكذا، وأشار بالسبابة والوسطى، وفرَّج بينهما شيئًا ".**

مَن قام بحق اليتيم فقد وجبت له الجَنَّة

فقد أخرج الإمام أحمد والطبراني وأبو يعلى عن زرارة بن أوفى عن رجل من قومه يقال له مالكٌ - أو ابن مالك ﷺ سمع النبي ﷺ يقول: " مَن ضم يتيمًا بين مسلمين في طعامه وشرابه حتى يستغنيَ عنه، وجبت له الجَنَّة، ومَن أدرك والديه أو أحدهما ثم لم يبرهما، دخل النارَ فأبعده الله، وأيُّما مسلمٍ أعتق رقبةً مسلمةً كانت فكاكَه من النار". (صحيح الترغيب والترهيب: ٢٥٤٣)

وأخرج الطبراني عن عدي بن حاتم ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " مَن ضمَّ يتيمًا له، أو لغيره حتى يغنيه الله عنه، وجبت له الجَنَّة ". (السلسلة الصحيحة: ٢٨٨٢)

وقد أثنى النبي ﷺ على نساء قريش؛ لأنهن يرحمن اليتيم:

أخرج البخاري ومسلم وأحمد واللفظ له من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " خَيرُ نِساءٍ رَكِبنَ الإبِلَ نِساءُ قُريشٍ[1]؛ أحناهُ على يَتيمٍ في صِغرِهِ، وأرعاهُ على زَوجٍ في ذاتِ يَدِهِ ".

وأخرج الإمام مسلم من حديث المستورد بن شداد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " تَقُومُ السَّاعَةُ والرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ. فَقالَ له عَمْرٌو: أَبْصِرْ ما تَقُولُ، قالَ: أَقُولُ ما سَمِعْتُ مِن رَسولِ اللهِ ﷺ، قالَ: لَئِنْ قُلْتَ ذلكَ، إنَّ فيهم لَخِصالًا أَرْبَعًا: إنَّهُمْ لأَحْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ[2]، وأَسْرَعُهُمْ إفاقَةً بَعْدَ مُصِيبَةٍ[3]، وأَوْشَكُهُمْ كَرَّةً بَعْدَ فَرَّةٍ[4]، وخَيْرُهُمْ لِمِسْكِينٍ ويَتِيمٍ وضَعِيفٍ[5]، وخامِسَةٌ حَسَنَةٌ جَمِيلَةٌ: وأَمْنَعُهُمْ مِن ظُلْمِ المُلُوكِ[6] ".

٤- فضل المسح على رأس اليتيم:

من مسح رأس اليتيم بدافع الرحمة به والشفقة عليه، ذهب عنه قسوة القلب:

أخرج الطبراني في" الكبير" من حديث أبي الدرداء ﷺ قال: أتَى النَّبيَّ ﷺ رجلٌ يشكو قسوةَ قلبِه قال: " أتحِبُّ أن يلينَ قلبُك، وتُدرِكُ حاجتَك؟ ارحَمِ اليتيمَ، وامسَحْ رأسَه، وأطعِمه من طعامِك، يلِنْ قلبُك وتُدرِكْ حاجتَك ". (صحيح الجامع:٨٠) (الصحيحة ٨٥٤)

وأخرج الخرائطي في" مكارم الأخلاق" وابن عساكر من حديث أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " أدن اليتيم منك، وألطفه، وامسح برأسه، وأطعمه من طعامك؛ فإن ذلك يلين قلبك، ويدرك حاجتك ".

(الصحيحة ٨٥٢) (صحيح الجامع:٢٥٠)

١- خيرُ نساءٍ رَكِبْنَ الإبلَ نساءُ قُريشٍ: أي: خيرُ نساءِ العربِ، لأنَّ نساء العَربِ هُنَّ مَن كنَّ يَرْكَبْنَ الإبلَ، ثُمَّ بيَّن حَيثيَّاتِ تلك الخيريَّةِ بقولِه:" أرْعاهُ على زَوجٍ في ذاتِ يَدِه"، أي: إنَّ نساءَ قُريشٍ أكثرُ النِّساءِ رِعايةً وصِيانةً لمالِ زَوجِها،"وأحناهُ على ولَدٍ في صِغرٍ"، يعني: أنَّهُنَّ أشفَقُ النَّاسِ وأرفقُهنَّ بالولدِ؛ فلذلك كُنَّ خيرَ نِساءٍ.

٢- أحلمُ النَّاسِ عندَ فِتنةٍ: يكونُ فيهم العقلُ والتَّثبيتُ عندَ وُقوعِ الفِتنِ، فيكونونُ أصبرَ النَّاسِ عندَ حُصولِ شِدَّةٍ ومَهلكةٍ.

٣- وأَسرعُهم إفاقةً بَعْدَ مُصيبَةٍ: أي يَعودون لِصوابِ أمرِهم بعْدَ كلِّ مُصيبةٍ في سُرعةٍ ورُشدٍ.

٤- وأَوشكُهم كرَّةً بَعدَ فرَّةٍ: أي هُم أسرَعُ النَّاسِ في المُبادَرةِ إلى القِتالِ والرُّجوعِ إلى العدوِّ بعْدَ الهَزيمةِ.

٥- وخَيْرُهُمْ لِمِسْكِينٍ ويَتِيمٍ وضَعِيفٍ: أي هُم خيرُ النَّاسِ وأرحَمُهم وأشْفَقُهم لِمِسكينٍ ويَتيمٍ وضَعيفٍ، وفي رِوايةٍ أُخرى لمسْلمٍ:" وخَيرُ النَّاسِ لِمساكينِهم وضُعفائهم" فيَقومونَ بالإحسانِ إليهِمْ.

٦- وأَمْنَعُهُمْ مِن ظُلْمِ المُلُوكِ: أي أنَّهم يَمنَعون الملوكَ مِن الظُّلمِ، أو أنَّهم يَحمُون النَّاسَ مِن ظُلمِ الملوكِ. قيل: إنَّ كلَّ تلك الأوصافِ الجميلةِ إنَّما كانت غالبةً على الرُّومِ الَّذين أدْرَكَ عَمرٌو زَمانَهم.

وأخرج الإمام أحمد من حديث أبي هريرة ﷺ قال: **أن رجلًا شكا إلى النبيِّ ﷺ قَسوةَ قلبِه؛ فقال: امسحْ رأسَ اليتيمِ، وأَطْعِمِ المسكينَ** ". **(قال الحافظ ابن حجر في الفتح:١١/١٥٥": سنده صحيح)**

وفي هذا الحَديثِ يَرْوي أبو هُرَيْرَةَ ﷺ أنَّ رجُلًا شَكا إلى النَّبيِّ ﷺ قَسْوةَ قَلبِه، وقِلَّةَ رِقَّتِه، وعدَمَ أُلفتِه ورَحمتِه، وكأنَّ هذا الأمرَ أزعَجَ ذلك الرَّجُلَ فسأَلَ النَّبيَّ ﷺ ليَدُلَّه على العِلاجِ النَّافِعِ، فأخبَرَه ببَعضِ طُرُقِ عِلاجِ قَسوةِ القَلبِ بالأعمالِ الصَّالحةِ، ومنها: أنْ يَمسَحَ على رأسِ اليَتيمِ، وأنْ يُطعِمَ المِسكينَ؛ وذلك لأنَّ مُلاطَفةَ اليَتيمِ الَّذي مات أبوه تُذكِّرُ بالموتِ، وتُشعِرُ بالفَقدِ، كما أنَّ الرَّأفةَ والرِّفقَ به ومُؤانَستَه، وإذْهابَ البؤسِ عنه؛ تَجعَلُ الإنسانَ يَصْحو مِن غَفْلتِه، فيَرِقُّ القَلبُ القاسي بهذه المَواعِظِ. وإطعامُ المِسكينِ يدُلُّ قاسيَ القَلبِ على آثارِ نِعمةِ اللهِ عليه، حيثُ أغْناه، وأحوَجَ إليه سِواه، فيَرِقُّ قَلبُه، وتَزولُ قَسوتُه. **وقد قيلَ:** إنَّ الرَّحمةَ على الصَّغيرِ والكَبيرِ مُوجِبةٌ لرَحمةِ اللهِ تعالَى على عَبدِه المُتخَلِّقِ ببَعضِ صِفاتِه، فيُنزِلُ عليه الرَّحمةَ، ويَرفَعُ عنه القَسوةَ، وقد قال تعالَى: ﴿ **أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ(١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ(١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ** ﴾ (البلد:١٤-١٦)، فهذا تَلميحٌ لمَا في هذه الأفْعالِ مِن مُعاناةِ المَشقَّةِ، ومُجاهَدةِ النَّفْسِ، فمَنِ اقتحَمَ تلك العَقَبةَ يَرِقُّ قَلبُه، وتَسمَحُ نفْسُه في تَعاطي كلِّ خَيرٍ. (الدرر السنية)

وأخرج الإمام أحمد وابن ماجه والنسائي في" السنن الكبرى" من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **اللَّهمَّ إنِّي أحرِّجُ حقَّ[١] الضَّعيفينِ[٢]: اليتيمِ[٣]، والمرأَةِ[٤]** ".(صحيح ابن ماجه: ٢٩٨٢)

- ***وفي رواية عند الحاكم:*** " **إنِّي أُحَرِّجُ عليكم حقَّ الضعيفينِ: اليتيمُ، والمرأةُ** ". (صحيح الجامع: ٢٤٤٧)

١- اللَّهُمَّ إنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ: أي أُضَيِّقُ على النَّاسِ في تَضييعِ حَقِّهما، وأحرمه على من ظلمهما، وأشَدِّدُ عليهم في ذلك، وأحَذِّرُهم من الوُقوعِ في ظُلمِهما؟. (النهاية في غريب الحديث لابن الأثير:١/٣٦١)

٢- الضَّعيفَينِ: وهما اللَّذان لا حَولَ لهما ولا قُوَّةَ، ولا ينْتَصِرانِ لأنْفُسِهما، وقد وَصَفَهُما بالضَّعفِ اسْتِعْطافًا وزيادةً في التَّحذيرِ؛ فإنَّ الإنْسانَ كُلَّما كان أضْعَفَ كانتْ عِنايةُ اللهِ به أَتَمَّ، وانتقامُه من ظالِمِه أشَدَّ.

٣- اليَتيم: وهو الذي فَقَدَ أباهُ صَغيرًا، وفَقَدَ حِمايَتَه ورِعايَته.

٤- والمَرأة: ووَجْهُ ضَعْفِ المَرأةِ ظاهر بل محسوس، وقد جعَلَ الشَّرعُ للرَّجُلِ الولايةَ عَليها لرِعايتِها وحِفظِ حُقوقِها لا لَهضَمْهِا؛ فلا يُزادُ في ضَعفِها بضَربِها ومطالبتِها بأكثَرَ مِمَّا أقرَّه وسمحَ بِه الشرعُ تُجاهَ الزَّوجِ، والخِطابُ هنا لأوْلياءِ المرأةِ والأزْواجِ.

٥- فضل من زار أخًا له في اللّه:

أخرج البخاري في" الأدب المفرد" ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " زارَ رجُلٌ أخًا لَهُ في قريَةٍ فأرصَدَ اللهُ لَهُ ملَكًا علَى مَدْرَجَتِه[١]، فقال: أينَ تُريدُ؟ قال: أخًا لِي في هذِهِ القرْيَةِ، فقال: هل لَّهُ عليكَ مِنْ نعمةٍ تربُّها[٢]؟ قال: لَا؛ إلَّا أنِّي أُحِبُّه فِي اللهِ، قال: فإنِّي رسولُ اللهِ إليكَ أنَّ اللهَ أحبَّكَ كمَا أَحْبَبْتَهُ ". (صحيح الجامع: ٣٥٦٧)

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " أنَّ رَجُلًا زارَ أخًا له في قَرْيَةٍ أُخْرَى، فأرْصَدَ اللَّهُ له علَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أتَى عليه، قالَ: أيْنَ تُرِيدُ؟ قالَ: أُرِيدُ أخًا لي في هذه القَرْيَةِ، قالَ: هلْ لكَ عليه مِن نِعْمَةٍ تَرُبُّها؟ قالَ: لا، غيرَ أنِّي أحْبَبْتُهُ في اللهِ عزَّ وجلَّ، قالَ: فإنِّي رَسولُ اللهِ إلَيْكَ بأنَّ اللَّهَ قدْ أحبَّكَ كما أحْبَبْتَهُ فيه.

وأخرج الإمام أحمد والطبراني في" المعجم الأوسط" من حديث عمرو بن عبسة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يقولُ: قد حقَّتْ مَحبَّتي للذين يَتحابُّونَ مِن أجْلي، وحَقَّتْ مَحبَّتي للذين يَتصافَوْنَ مِن أجْلي، وحَقَّتْ مَحبَّتي للذين يَتزاوَرونَ مِن أجْلي، وحَقَّتْ مَحبَّتي للذين يَتباذَلونَ مِن أجْلي، وحقَّتْ مَحبَّتي للذين يَتناصَرونَ مِن أجْلي ".

وأخرج الإمام أحمد بسند صحيح من حديث أبي إدْريسَ الخَوْلانـيِّ قال: " دَخَلتُ مسجدَ دِمَشقَ بالشَّامِ[٣]، فإذا أنا بفتًى بَرَّاقِ الثَّنايا[٤]، وإذا النَّاسُ حولَه، إذا اختلفوا في شيءٍ أسندَوه إليه[٥]، وصَدَروا عن رأيه[٦]، فسأَلْتُ عنه، فقيل: هذا مُعاذُ بنُ جَبلٍ، فلمَّا كان الغَدُ هَجَّرتُ، فوَجَدتُه قد سَبَقَني بالهَجيرِ- وقال إسحاقُ: بالتَّهجيرِ- ووَجَدتُه يُصلِّي، فانتَظَرْتُه حتى إذا قَضى صَلاتَه جِئتُه مِن قِبَلِ وَجهِه، فسَلَّمتُ عليه فقُلتُ له: واللهِ إنِّي لأُحِبُّكَ للهِ، فقال: آللهِ؟ فقُلتُ: آللهِ، فقال: آللهِ؟ فقُلتُ: آللهِ، فأخَذَ بحُبْوَةِ رِدائي[٧] فجَبَذَني إليه وقال: أبشِرْ؛ فإنِّي سَمِعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: قال اللهُ عزَّ وجلَّ: وَجَبَتْ مَحبَّتي للمُتحابِّينَ فيَّ، والمُتجالِسينَ فيَّ، والمُتزاوِرينَ فيَّ، والمُتباذِلينَ فيَّ[٨] ". (صحيح الجامع:٤٣٣١)

١- مَدْرَجَتِهِ: أي طريقه.
٢ - نِعمةٍ تَربُّها: أي هلْ لهذا الرَّجلِ المزُورِ مِن نِعمٍ دُنيويَّةٍ تُريدُ أنْ تَستوفِيَها له بزِيارتِكَ تلك.
٣- دَخَلتُ مَسجِدَ دِمَشْقَ بالشَّامِ: يُقصَدُ بها البِلادُ المَعْروفَةُ الآنَ، وهي الَّتي تقَعُ إلى الشَّمالِ مِن الجزيرةِ العربيَّةِ، وتضمُّ سُوريَةَ والأُرْدُنَّ وفِلَسطينَ ولُبنانَ. ودِمَشْقُ المَذْكورةُ تقَعُ بالأراضي السُّوريَّةِ.
٤- فإذا أنا بفَتًى برَّاقِ الثَّنايا: شَديدِ أبيَضِ الثَّغْرِ، وقيلَ مَعْناهُ: كَثيرُ التَّبسُّمِ، طَلْقُ الوَجهِ.
٥- أسنَدوهُ إليه: يَرجِعونَ لِرَأيِهِ ومَشورَتِهِ.
٦- وصَدَروا عن رَأيِهِ: رَجَعوا عن خِلافِهِم، واتَّبَعوا رَأيَهُ.
٧- فأخَذَ بحُبْوةِ رِدائي: وهي مَوضِعُ مَعقِدِ الثِّيابِ من وَسَطِ الجَسَدِ.
٨- والمُتَباذِلينَ فيَّ: وهُم الَّذين بَذَلوا أنفُسَهم، وأنْفَقوا أمْوالَهم فيما أمَرَ اللهُ عزَّ وجلَّ وحَضَّ عليه

وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْثُرُ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: " **حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِي، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَوَاصِلِينَ فِي، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِي، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِي** ".

- **فإذا زار الرجل آخاه في الله فلم يرض الله له ثوابًا إلا الجنة:**

فقد أخرج الطبراني في معاجمه الثلاثة من حديث أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: " **ألا أخبركم برجالكم في الجنة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، فقال: النبي في الجنة، والصديق في الجنة، والشهيد في الجنة، والمولود في الجنة، والرجل يزور أخاه في ناحية المصْر، لا يزوره إلا لله في الجنة، ألا أخبركم بنسائكم في الجنة؟ قلنا بلى يا رسول الله قال: كل ودود ولود إذا غضبت أو أسئ إليها قالت: هذه يدي في يدك لا أكتحل بغمض حتى ترضى** ". (صحيح الترغيب والترهيب: ١٩٤١) (صحيح الجامع:٢٦٠٤)

وأخرج الترمذي وابن ماجه من حديث أبى هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: " **من عاد مريضًا، أو زار أخًا له في الله، ناداه منادٍ: أن طبت وطاب ممشاك، وتبوّأت من الجنة منزلًا** ". (صحيح الجامع:٦٣٨٧)

وأخرج البزار وأبو يعلى عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: " **ما من عبد أتى أخاه يزوره في الله، إلا ناداه منادٍ من السماء: أن طبت وطابتْ لك الجنة، وإلا قال الله في ملكوت عرشه: عبدي زار فيّ، وعَلَيّ قِرَاهُ[1]، فلم يرض له بثوابٍ دون الجنة** ". (صحيح الترغيب والترهيب: ٢٥٧٩)

وَقَدْ كَانَ عُمَرُ ﷺ يَذْكُرُ الْأَخَ مِنْ إخْوَانِهِ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ فَيَقُولُ: يَا طُولَهَا مِنْ لَيْلَةٍ ؛ فَإِذَا صَلَّى الْمَكْتُوبَةَ غَدَا إلَيْهِ وَاعْتَنَقَهُ. (غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب للسفاريني:٢/٤٨٢)

وَقَالَ مُجَاهِدٌ-رحمه الله-: إذَا مَشَى أَحَدُ الْمُتَحَابِّينَ فِي اللَّهِ إلَى الْآخَرِ فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَضَحِكَ إلَيْهِ تَحَاتَّتْ خَطَايَاهُمَا كَمَا يَتَحَاتُّ وَرَقُ الشَّجَرِ. (المصدر السابق)

وَرُوِيَ عَنْ مَعْرُوفٍ الْكَرْخِيِّ -رَحِمَهُ اللَّهُ- أَنَّهُ قَالَ: امْشِ مِيلًا؛ صِلْ جَمَاعَةً، امْشِ مِيلَيْنِ؛ صَلِّ جُمُعَةً؛ امْشِ ثَلَاثَةَ أَمْيَالٍ؛ شَيِّعْ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا، امْشِ سِتَّةَ أَمْيَالٍ؛ شَيِّعْ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ امْشِ سَبْعَةَ أَمْيَالٍ بِصَدَقَةٍ مِنْ رَجُلٍ إلَى رَجُلٍ؛ امْشِ ثَمَانِيَةَ أَمْيَالٍ؛ أَصْلِحْ بَيْنَ النَّاسِ؛ امْشِ تِسْعَةَ أَمْيَالٍ؛ صِلْ رَحِمًا وَقَرَابَةً؛ امْشِ عَشَرَةَ أَمْيَالٍ فِي حَاجَةِ عِيَالِك؛ امْشِ أَحَدَ عَشَرَ مِيلًا فِي مَعُونَةِ أَخِيك؛ امْشِ بَرِيدًا؛ وَالْبَرِيدُ اثْنَا عَشَرَ مِيلًا؛ زُرْ أَخًا فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ". (المصدر السابق)

١ـ قراه: أي: ضيافته.

٦- فضل قضاء حوائج المسلمين:

قضاء حوائج المسلمين من أجَلِّ القربات، وأعظم وأنبل الطاعات، ويا لحسن صنع الخير للمؤمنين، وتفريج هَمِّ المكروبين، ومدّ يد العون للفقراء واليتامى والمساكين، وتفقد أحوال المحتاجين.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ[١] يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ[٢] قَالَ مَا خَطْبُكُمَا[٣] قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ[٤] وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (القصص:٢٣،٢٤)

قال السعدي-رحمه الله- عند تفسير هذه الآية: "﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ مواشيهم، وكانوا أهل ماشية كثيرة ﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ﴾ أي: دون تلك الأمة ﴿امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ غنمهما عن حياض الناس، لعجزهما عن مزاحمة الرجال وبخلهم، وعدم مروءتهم عن السقي لهما. ﴿قَالَ﴾ لهما موسى ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ أي: ما شأنكما بهذه الحالة، ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ أي: قد جرت العادة أنه لا يحصل لنا سقي حتى يصدر الرعاء مواشيهم، فإذا خلا لنا الجو سقينا، ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ أي: لا قوة له على السقي، فليس فينا قوة، نقتدر بها، ولا لنا رجال يزاحمون الرعاء. فرق لهما موسى عليه السلام ورحمهما ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ غير طالب منهما الأجرة، ولا له قصد غير وجه اللّه تعالى، فلما سقى لهما، وكان ذلك وقت شدة حر، وسط النهار، بدليل قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾ مستريحا لذلك الظلال بعد التعب. ﴿فَقَالَ﴾ في تلك الحالة، مسترزقًا ربه ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ أي: إني مفتقر للخير الذي تسوقه إليَّ وتيسره لي. وهذا سؤال منه بحاله، والسؤال بالحال أبلغ من السؤال بلسان المقال، فلم يزل في هذه الحالة داعيا ربه متملقا. وأما المرأتان، فذهبتا إلى أبيهما، وأخبرتاه بما جرى ". اهـ

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "مَن نَفَّسَ عن مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِن كُرَبِ الدُّنْيا، نَفَّسَ اللَّهُ عنْه كُرْبَةً مِن كُرَبِ يَومِ القِيامَةِ، وَمَن يَسَّرَ علَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عليه في الدُّنْيا وَالآخِرَةِ، وَمَن سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ في الدُّنْيا وَالآخِرَةِ، وَاللَّهُ في عَوْنِ العَبْدِ ما كانَ العَبْدُ في عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَن سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فيه عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ له به طَرِيقًا إلى الجَنَّةِ، وَما اجْتَمع قَوْمٌ في بَيْتٍ مِن بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بيْنَهُمْ؛ إِلَّا نَزَلَتْ عليهِم السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَن عِنْدَهُ، وَمَن بَطَّأَ به عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ به نَسَبُهُ ".

١- أمّة من النّاس: جماعة كثيرة منهم.
٢- تذودان: تمنعان أغنامهما عن الماء.
٣- ما خطبُكما؟: ما شأنكما؟ ما مطلوبكما؟.
٤- يُصْدِرَ الرّعاء: يصرف الرعاة مواشيَهم عن الماء.

وأخرج الإمام مسلم والترمذي واللفظ له من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" من نفَّسَ عن مسلمٍ كُربةً[1] من كُربِ الدُّنيا نفَّسَ اللَّهُ عنهُ كربةً مِن كُرَبِ يومِ القيامةِ، ومن يسَّرَ على مُعسرٍ في الدُّنيا يسَّرَ اللَّهُ عليهِ في الدُّنيا والآخرةِ، ومن ستَرَ على مُسلمٍ في الدُّنيا سترَ اللَّهُ عليهِ في الدُّنيا والآخرةِ، واللَّهُ في عونِ العبدِ، ما كانَ العبدُ في عونِ أخيهِ ".** (صحيح الترمذي: ١٩٣٠)

وأخرج البخاري ومسلم من حديث ابن عمر -رضِي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: **" الْمُسْلِمُ أخُو المُسْلِمِ، لا يَظْلِمُهُ ولا يُسْلِمُهُ، مَن كانَ في حاجَةِ أخِيهِ كانَ اللَّهُ في حاجَتِهِ، ومَن فَرَّجَ عن مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عنْه بها كُرْبَةً مِن كُرَبِ يَومِ القِيامَةِ، ومَن سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَومَ القِيامَةِ.**

اقضِ الحوائجَ ما استطعت وكُنْ لَـهمٍّ أخيك فـارِجْ
فلخَيـــرُ أيـــام الفتى يومٌ قضى فيه الحوائجْ

وفي هذا الحديثِ يُخبِرُ النَّبيُّ ﷺ بما يَنْبغي أنْ يكونَ عليه المُسلِمُ تُجاهَ أخيهِ المسلِم، فيُبيِّنُ أنَّ المسلِمَ -سواءٌ كان حرًّا أو عبْدًا، بالغًا أو غيرَ بالغٍ- أخُو المسلِمِ في الإسلامِ، لا يَقومُ بظُلمِه؛ فإنَّ اللهَ سُبحانه حرَّمَ قَليلَ الظُّلمِ وكَثيرَه، وفي الوقتِ نفْسِه لا يَترُكُه إلى الظُّلمِ دونَ أنْ يُعِينَه، ولا يَترُكُه مع مَن يُؤذِيه دونَ أنْ يَحمِيَه قدْرَ استطاعتِه. ويُخبِرُ أنَّ مَن سَعَى في قَضاءِ حاجةِ أخيه المسلمِ، أعانَهُ اللهُ تعالَى وسَهَّل عليه قَضاءَ حاجتِه. ومَن ساعَدَ مُسلِمًا في كُربةٍ نزَلَت به مِن كُرُباتِ الدُّنيا، أي: في غمٍّ يُؤثِّرُ في نفْسِه، أو في مُصيبَةٍ مِن مَصائبِ الدُّنيا حتَّى يَزولَ غَمُّه ومُصِيبتُه؛ أزالَ اللهُ عنه مُصيبةً وهَوْلًا مِن أهْوالِ يومِ القيامةِ. ومَن اطَّلَع مِن أخِيه على عَوْرَةٍ أو زَلَّةٍ، فستَرَه ولم يَفْضَحْه، ستَرَه اللهُ يومَ القيامةِ. ولا يَعني هذا أنْ يَسكُتَ عن مَعصيةٍ إنْ رآهُ مُتلبِّسًا بها، بلْ يَجِبُ عليه نُصْحُه والإنكارُ عليه بما شُرِعَ مِن وَسائلِ الإنكارِ حتَّى يَنتهِيَ عن مَعصيتِه، فهذا مِن النَّصيحةِ الواجبةِ.

وأخرج الطبراني في" المعجم الأوسط" وأبو الشيخ في" التوبيخ والتنبيه" من حديث ابن عمر -رضِي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: **" أَحَبُّ الناسِ إلى اللهِ أنفعُهم للناسِ، وأَحَبُّ الأعمالِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ سرورٌ تُدخِلُه على مسلمٍ، تَكشِفُ عنه كُربةً، أو تقضِي عنه دَيْنًا، أو تَطرُدُ عنه جوعًا، ولأَنْ أمشيَ مع أخٍ في حاجةٍ؛ أَحَبُّ إليَّ من أن اعتكفَ في هذا المسجدِ يعني مسجدَ المدينةِ شهرًا، ومن كظم غيظَه ولو شاء أن يُمضِيَه أمضاه؛ ملأ اللهُ قلبَه يومَ القيامةِ رِضًا، ومن مشى مع أخيه في حاجةٍ حتى يَقضِيَها له؛ ثبَّتَ اللهُ قدمَيه يومَ تزولُ الأقدامُ ".** (صحيح الترغيب: ٢٦٢٣)

١- الكُربَةُ: قال ابنُ رَجَبٍ-رحمه الله-: هي الشِّدَّةُ العظيمةُ التي تُوقِعُ صاحِبَها في الهَمِّ والغَمِّ، وتنفيسُها أن يخفِّفَ عنه منها، مأخوذٌ من تنفيسِ الخِناقِ، كأنَّه يُرخي له الخِناقَ حتَّى يأخُذَ نَفَسًا، والتَّفريجُ أعظَمُ من ذلك، وهو أن يزيلَ عنه الكُربةَ، فتُفَرَّجَ عنه كُربتُه، ويزولَ هَمُّه وغَمُّه؛ فجزاءُ التَّنفيسِ التَّنفيسُ، وجزاءُ التَّفريجِ التَّفريجُ. (جامع العلوم والحكم: ٢/٢٨٦).

- *وفي رواية:* " أحبُّ الناسِ إلى اللهِ أنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ[1]، وأحبُّ الأعمالِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ سُرُورٌ يدْخِلُهُ على مسلمٍ، أوْ يكْشِفُ عنهُ كُرْبَةً، أوْ يقْضِي عنهُ دَيْنًا، أوْ تَطْرُدُ عنهُ جُوعًا، ولأنْ أَمْشِيَ مع أَخٍ لي في حاجَةٍ أحبُّ إليَّ من أنْ اعْتَكِفَ في هذا المسجدِ، يعني مسجدَ المدينةِ شهرًا[2]، ومَنْ كفَّ غضبَهُ سترَ اللهُ عَوْرَتَهُ، ومَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، ولَوْ شاءَ أنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلأَ اللهُ قلبَهُ رَجَاءً يومَ القيامةِ، ومَنْ مَشَى مع أَخِيهِ في حاجَةٍ حتى تتهَيَّأَ لهُ أَثْبَتَ اللهُ قَدَمَهُ يومَ تَزُولُ الأَقْدَامِ، وإِنَّ سُوءَ الخُلُقِ يُفْسِدُ العَمَلَ، كما يُفْسِدُ الخَلُّ العَسَلَ ". (أخرجه الطبراني في" المعجم الأوسط") (صحيح الجامع:١٧٦)

وأخرج ابن أبي الدنيا في "قضاء الحوائج" عَنْ بَكْرِ بْنِ خُنَيْسٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَنْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ:" أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَإِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ سُرُورٌ تَدْخِلُهُ عَلَى مُؤْمِنٍ: تَكْشِفُ عَنْهُ كَرْبًا، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخِي الْمُسْلِمِ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ شَهْرَيْنِ فِي مَسْجِدٍ، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ، مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ رِضا، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يُثْبِتَهَا لَهُ، ثَبَّتَ اللَّهُ قَدَمَيْهِ يَوْمَ تَزِلُّ الْأَقْدَامُ، وَإِنَّ سُوءَ الْخُلُقِ لَيُفْسِدُ الْعَمَلَ كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ ". (السلسلة الصحيحة: ٩٠٦)

وإن الخلق عباد الله، يعولُهم بفضله، ويربيهم بجوده، ويحوطهم بكرمه، ويُغني فاقتهم بعطائه ونواله، وإن الله جعل للمعروف وجوهًا من خلقه، حَبَّبَ إليهم المعروف، وحبَّبَ إليه فِعَاله، ويسر على طُلَّاب المعروف طلبه إليهم ويَسَّر عليهم إعطاءه، فهم كالغيث يرسله الله تعالى إلى الأرض الجدبة فيُحْييها ويُحيى بها أهلها، وأحب خلق الله إليه أنفعهم لعباده، وأقربهم منه منزلة وأعلاهم عنده مكانة أطولهم يدًا، وأحناهم قلبًا، وأحسنُهم خُلُقًا، وأوسعهم لُطْفًا وظرْفًا وعطفا على المخلوقين، فالله يحب المحسنين.

وأخرج ابن حبان في" المجروحين" والطبراني في" المعجم الأوسط" من حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: " خيرُ الناسِ أنفعُهم للناسِ ". (الصحيحة:٤٢٦) (صحيح الجامع:٣٢٨٩)

وقفة: وهذا التابعي الجليل عبد الله بن شبرمة، كان يقضي حاجة لبعض إخوانه من المسلمين، فجاءه بهديَّة، فقال: ما هذا؟ قال: لِمَا أسديت إليَّ، فقال: خذ مالك؛ عافاك الله، إذا سألت أخاك حاجة فلم يجهد نفسه في قضائها فتوضأ للصلاة، وكبّر عليه أربع تكبيرات، وعُدَّه في الموتى ".

١- أَحَبُّ الناسِ إلى اللهِ أنفعُهم للناسِ: أي أكثَرُ مَن يَنتفِعُ الناسُ بهم، وهذا لا يَقتصِرُ على النَّفعِ الماديِّ فَقَطْ، ولكنَّه يمتَدُّ ليشمَلَ النَّفعَ بالعِلمِ، والنَّفعَ بالرَّأْيِ، والنَّفعَ بالنَّصيحَةِ، والنَّفعَ بالمَشورةِ، والنَّفعَ بالجاهِ، والنَّفعَ بالسُّلطانِ، ونحوَ ذلك، فكُلُّ هذه من صُوَرِ النَّفعِ التي تجعَلُ صاحِبَها يشرُفُ بحُبِّ اللهِ له.
٢- ولأَنْ أَمشِيَ معَ أخٍ لي في حاجَةٍ أحَبُّ إليَّ مِن أنْ أَعتكِفَ في هذا المسجِدِ، يعني: مسجِدَ المدينَةِ شَهرًا: ففي قولِه هذا إشارةٌ إلى فضْلِ المشْيِ مع المُسلِمينَ في قَضاءِ حوائِجِهم، وتَيسيرِ العَقَباتِ لهم، حتى جاوَزَ هذا الفضْلُ الاعتكافَ في مسجِدِ النَّبيِّ ﷺ، ولا يَدُلُّ هذا إلَّا على عَظيمِ فضْلِ السَّعيِ بين المُسلِمينَ لقَضاءِ حوائجِهم.

وأخرج ابن أبي الدنيا في "قضاء الحوائج" والبيهقي في" شعب الإيمان" من حديث ابن عمر وأبي هريرة -رضِي الله عنهم- قالا: قال رسول الله ﷺ: **" أفضلُ الأعمالِ أن تُدخِلَ على أخيك المؤمنِ (١) سرورًا (٢)، أو تقضى عنه دَيْنًا(٣)، أو تطعمه خبزًا(٤) ".** (صحيح الجامع: ١٠٩٦) (الصحيحة:١٤٩٤)

وأخرج البخاري من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **" تَرَى المُؤْمِنِينَ في تَراحُمِهِمْ وتَوادِّهِمْ وتَعاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الجَسَدِ، إذا اشْتَكَى عُضْوًا تَداعَى له سائِرُ جَسَدِهِ بالسَّهَرِ والحُمَّى.**

- ***وعند مسلم بلفظ:*** **" مثلُ المؤمنين في تَوادِّهم، وتَرَاحُمِهم، وتعاطُفِهِمْ. مثلُ الجسَدِ إذا اشتكَى منْهُ عضوٌ تدَاعَى لَهُ سائِرُ الجسَدِ بالسَّهَرِ والْحُمَّى**

والأصل في المسلم أن يُعين إخوانه على نوائب الدهر ومتاعب العمر، ومصائب الحياة بسدِّ خلَّتهم، والشدَّ من أزرهم، وقضاء حوائجهم، والقيام على مصالحهم، وإعانة محتاجهم، ومساعدة ضعيفهم، ورعاية شؤونهم، ومناصرة مظلومهم، والأخذ على يد ظالمهم؛ لتستقيم حياتهم، ويصلح بهم ولهم معاشهم، فكأنهم جسدٌ واحدٌ، مختلطُ المشاعر، متَّحد الشعائر، متمازجُ الأحاسيس، متوافق العواطف ".

(بذل المعروف لعبد اللطيف بن هاجس الغامدي ص:١٠)

وأخرج الإمام مسلم من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **" الْمُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ واحِدٍ، إنِ اشْتَكَى عَيْنُهُ، اشْتَكَى كُلُّهُ، وإنِ اشْتَكَى رَأْسُهُ، اشْتَكَى كُلُّهُ ".**

وأخرج البخاري ومسلم من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **" المؤمنونَ كرَجُلٍ واحدٍ، إنِ اشتكَى رأسَهُ، تَدَاعَى لَهُ سائرُ الجسَدِ بِالْحُمَّى والسهرِ ".** (صحيح الجامع: ٦٦٦٧)

وأخرج الإمام أحمد من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **" المؤمنُ مِنْ أهلِ الإيمانِ بمنزلةِ الرأسِ مِنَ الجسدِ، يأْلَمُ المؤمنُ لأهلِ الإيمانِ، كما يأْلَمُ الجسدُ لِما في الرأسِ ".**

(صحيح الجامع: ٦٦٥٩)

أرشَدَ النَّبيُّ ﷺ أُمَّتَه في هذا الحديثِ إلى ما يُنشِئُ فيهمُ التَّراحُمَ والحبَّ والعاطفةَ؛ حيث قال: "**تَرَى المؤمنين في تَراحُمِهم**" بأنْ يَرحَمَ بَعضُهم بَعضًا بأُخوَّةِ الإسلامِ، لا بسَبَبٍ آخَرَ، "**وتَوادِّهم**"، وهو تَواصُلُهم الجالبُ للمَحبَّةِ، كالتَّزاوُرِ، والتَّهادي، "**وتَعاطُفِهم**" بأنْ يُعينَ بعضُهم بعْضًا، كمثَلِ الجسدِ بالنِّسبةِ إلى جميع أعضائِه، إذا اشتكى عُضوٌ منه تَداعَى له سائرُ جَسدِه، أي: دعَا بعْضُه بعضًا إلى المشاركةِ بالسَّهرِ؛ لأنَّ الألَمَ يَمنَعُ النَّومَ، والحُمَّى؛ لأنَّ فقْدَ النَّومِ يُثيرُها، والمعنى: أنَّ المسلمين يستَشعِرون آلامَ بعضِهم ومصائِبَهمْ بالعَوْنِ وتقديمِ مُساعدةِ بعضِهم بعضًا، كمَثَلِ الجَسَدِ الواحِدِ، إذا مرِضَ منه عضوٌ انهارَ له سائرُ جَسَدِه، وهذا تنبيهٌ للمُسلِمين بأن يكونوا كذلك في جميعِ شُؤونِهم. (الدرر السنية)

١- أفضلُ الأعمالِ أنْ تُدْخِلَ على أخيك المُؤْمِنِ: والمرادُ بالأُخُوَّةِ أُخُوَّةُ الدِّينِ لا أُخُوَّةُ النَّسَبِ.
٢- سُرورًا: أي تُقدِّمُ له مِن الأسبابِ التي تَشْرَحُ صدْرَه وتُسْعِدُه.
٣- أو تَقْضيَ عنه دَيْنًا: أي: يَسعَى في قَضائِه كاملًا أو جزءًا منه أو المقدورِ عليه.
٤- أو تُطْعِمَه خُبْزًا: والمُرادُ الخُبْزُ وما فوقَه من أنواعِ الطَّعامِ المقدورِ عليها، وإنما خُصَّ الخُبْزُ لعُمومِ وُجودِهِ حتى لا يَبْقى للإنسانِ عُذْرٌ في تَرْكِ الإطعامِ.

وأخرج أبو داود واللفظ له والبزار والطبراني في" مكارم الأخلاق" من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخُو المؤمنِ يكُفُّ عليه ضيْعتَه، ويَحوطُه من ورائِه** ".

(صحيح أبي داود: ٤٩١٨) (السلسلة الصحيحة: ٩٢٦)

قال الجيلاني-رحمه الله- في" شرح الأدب المفرد:١/٣٣٣": " **المؤمن مرآة أخيه** ": كما أن المرآة تُرِي الناظر ما فيه من العيوب ولو كان أدنى شيء، كذلك أخوه المؤمن يخبر بعيوب أخيه شفقة عليه؛ لئلا يبقى عليه إلى آخر وقته شيءٌ منها، فالمؤمن يَطَّلِع على عيوبه بإعلام أخيه المؤمن، وكذا واجب عليه إماطة الأذى والعيب عن أخيه ويحتملُ حمله، على أن ذكر عيب أخيه له ينبِّهه على عيوب نفسه أيضًا، فيسعى في إزالتها. قوله:" يكفّ عليه ضيعته": أي يمنع ضياعه وهلاكه، فيجمع عليه معيشته ويضمها إليه. " ويحوطه من ورائه: أي يذب عنه ويوفر عليه مصالحه ". اهـ

وأخرج ابن حبان من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **مَن ستَر أخاه المسلمَ ستَره اللهُ في الدُّنيا والآخرةِ ومَن فرَّج عن مسلمٍ كُربةً فرَّج اللهُ عنه كُربةً مِن كُرَبِ يومِ القيامةِ واللهُ في عونِ العبدِ ما كان العبدُ في عونِ أخيه** ". (صحيح ابن حبان: ٥٣٤)

قال عبدان عثمان الأزدي-رحمه الله-: " ما سألني أحدٌ حاجة إلا قمتُ له بنفسي، فإنْ تمَّ، وإلَّا قمتُ له بمالي، فإن تم، وإلا استعنت له بالإخوان، فإنْ تمَّ، وإلَّا استعنت بالسلطان ".

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِهِ، نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ عَلَى مُؤْمِنٍ عَوْرَتَهُ، سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَتَهُ** ".

وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ مَسْلَمَةَ بْنِ مَخْلَدٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا فِي الدُّنْيَا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ نَجَّى مَكْرُوبًا، فَكَّ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ، كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ** ".

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **أَيُّمَا مُؤْمِنٍ أَطْعَمَ مُؤْمِنًا عَلَى جُوعٍ، أَطْعَمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ ثِمَارِ الْجَنَّةِ، وَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ سَقَى مُؤْمِنًا عَلَى ظَمَإٍ، سَقَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ، وَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ كَسَا مُؤْمِنًا عَلَى عُرْيٍ، كَسَاهُ اللَّهُ مِنْ خُضْرِ الْجَنَّةِ(١)** ".

الخيــــر زرعٌ والفتى حاصــدٌ ... وغايةُ المزروع أن يُحصدَا

وأسعدُ العالَم من قدَّم الإحسان ... في الدنيــــا لينجــو غــدَا

وأخرج الطبراني من حديث زيد بن ثابت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **لا يزال الله في حاجة العبد ما دام في حاجة أخيه(٢)** ".

١- هذا الحديث أَخَرَّجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بِالشَّكِّ فِي رَفْعِهِ، وَقِيلَ: إِنَّ الصَّحِيحَ وَقْفُهُ.

٢- وهذا الحديث حسنه السيوطي والألباني. وقال المنذري-رحمه الله- في" الترغيب والترهيب": رواه ابن أبي الدنيا والطبراني في" الكبير والأوسط"، لو قيل بتحسينِ سَنَدِه لكان ممكنًا ".

وأخرج الطبراني وأبو نعيم في" حلية الأولياء" والبيهقي في" شعب الإيمان" عن ابنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عنهما - قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: " **إنَّ للهِ أقوامًا اختصَّهم بالنِّعَمِ لمنافِعِ العبادِ، يُقِرُّهم فيها ما يَبذُلونها، فإذا منعوها نزَعَها منهم فحَوَّلَها إلى غيرِهم** ". (صحيح الجامع:٢١٦٤) (السلسلة الصحيحة:١٦٩٢)

وأخرج الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس رضِي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: " **ما من عبدٍ أنعم اللهُ عليه نعمةً فأسبغَها عليه، ثم جعلَ من حوائجِ الناسِ إليه فتبرَّم، فقد عرَّضَ تلك النعمة للزَّوالِ** ". (ضعفه بعض أهل العلم وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب:٢٦١٨)

وأخرج الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ من حديث ابن عمرو - رضِي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: " **إِنَّ لِلَّهِ عِنْدَ أَقْوَامٍ نِعَمًا يُقِرُّهَا عِنْدَهُمْ مَا كَانُوا فِي حَوَائِجِ النَّاسِ، مَا لَمْ يَمَلُّوا، فَإِذَا مَلُّوا نَقَلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ** ".
(ضعفه بعض أهل العلم وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب:٢٦١٦)

وقال فيضُ بن إسحاق - رحمه الله -: " كنتُ عند الفضيل بن عياض رحمه الله فجاء رجلٌ فسأله حاجةً، فألح في السؤال عليه، فقلت: لا تؤذِ الشيخ، فزجرني الفضيل، وصاح عليَّ، وقال: أما علمت أن حوائج الناس إليكم نِعمٌ من الناس عليكم؟! فاحذروا أن تملُّوا النعم فتُحوّل نقمًا، ألا تحمد ربَّك أن جعلك موضعًا تُسْأل، ولم يجعلْك تَسْأل ". (كتاب الحدائق لابن الجوزي:٢/٣٨٥)

وكان عمر بن الخطاب ﷺ إذا بعث عمَّاله شرط عليهم أمورًا؛ منها: ولا تغلقوا أبوابكم دون حوائج الناس، فإن فعلتم شيئًا من ذلك، حلَّت بكم العقوبة، ثم يشيعهم ".

وقال حكيم بن حزام: " ما أصبحتُ وليس ببابي صاحب حاجة، إلَّا علمتُ أنها من المصائب التي أسأل الله الأجر عليها ".

وأخرج البخاري من حديث أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **على كُلِّ مُسلِمٍ صَدَقَةٌ، فقالوا: يا نبيَّ اللَّهِ، فمَن لم يَجِدْ؟ قال: يعمَلُ بيدِه، فيَنفَعُ نَفسَه ويتصَدَّقُ، قالوا: فإن لم يجِدْ؟ قال: يُعينُ ذا الحاجةِ الملهوفَ[1]، قالوا: فإن لم يجِدْ؟ قال: فلْيَعمَلْ بالمعروفِ، ولْيُمسِكْ عن الشَّرِّ؛ فإنَّها له صَدَقةٌ** ".

وجاء فِي زَوَائِدِ الزُّهْدِ عن عَبْدُ اللَّهِ بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **أَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ[2]** ". (صحيح الجامع:١٧٢)

١ـ قال القاريُّ ـرحمه اللهـ:" ذا الحاجةِ الملهوفَ": أي: المتحَيِّرَ في أمرِه الحزينَ أو الضَّعيفَ، أو المظلومَ المستغيثَ، ثمَّ إنَّه يحتَمِلُ أن تكونَ الإعانةُ بالفعلِ أو بالمالِ أو بالجاه، أو بالدَّلالةِ أو النَّصيحةِ أو الدُّعاءِ". (مرقاة المفاتيح:٤/١٣٣٧).
٢ـ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِه: أَيْ لِعِيَالِ اللَّهِ؛ بِدَلِيلِ خَبَرِ أَبِي يَعْلَى:" الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيَالُ اللَّهِ؛ وَأَحَبُّهُمْ إِلَيْهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِه"؛ وَخَبَرِ الطَّبَرَانِيِّ:" أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ"؛ وَالْمُرَادُ: مَنْ يُسْتَطَاعُ نَفْعُهُ مِنَ الْخَلْقِ؛ الْأَهَمُّ فَالْأَهَمُّ؛ أَوِ الْمُرَادُ عِيَالُ الْإِنْسَانِ أَنْفُسُهُمُ؛ الَّذِينَ يُمَوِّنُهُمْ؛ وَتَلْزَمُهُ نَفَقَتُهُمْ؛ وَالْأَوَّلُ أَقْرَبُ؛ قَالَ الْمَاوَرْدِيُّ: وَنَظَمَهُ بَعْضُهُمْ؛ فَقَالَ: النَّاسُ كُلُّهُمُ عِيَالُ اللَّهِ تَحْتَ ظِلَالِهِ   فَأَحَبُّهُمْ طُرًّا إِلَيْـهِ أَبَرُّهُمْ بِعِيَالِهِ

وأخرج أبو داود الترمذي وابن ماجه وأحمد من حديث ابن عمرو-رضِي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: **" المسلمونَ تَتكافَأُ دماؤُهم، يَسعى بذِمَّتِهِم أدناهم، ويُجيرُ عليهم أقصاهم، وهم يدٌ على مَن سواهم، يرُدُّ مُشِدُّهم على مُضعِفِهم، ومُتسرِّيهم على قاعِدِهم ".**

(صححه الألباني في الإرواء:٢٢٠٨) (صحيح الجامع:٦٧١٢) (صحيح أبي داود:٢٣٩٠)

ولا خير فيمن يحجب خيره عن غيره، ويَزوِي معروفه عمن يستحقه، ولا يُعطي كلَّ ذي حقٍّ حقَّه.

ومن يكون هذا حاله، فوجوده كعدمه، وحضوره كغيابه، وموته كحياته، فلا هو في العِير ولا في النفير، ولا يوزن في موازين الناس بقنطار ولا بقطمير، لا وزن له ولا حجم، ولا حيِّز ولا جُرْم، فهو من سقط المتاع، ومن الهمل الرَّعاع، فلا هو يدفع أو يمنع، وعود خلال منه أنفع!!

إذا كنت لا تُرجى لدفع مُلِمَّـةٍ ... ولم يَكُ للمعروف عندك موضعُ
ولا أنت ذو حياةٍ يعايش بجاهه ... ولا أنت يوم البعث للنَّاسِ تَشْفَـعُ
فعيشُك في الدنيا وموتُك واحـدٌ ... وعـود خـلالٍ مـن حياتكَ أنفع

ومن عزَّ نوالُه وقل عطاؤُه، فنعمته إلى زوال، وما عنده من خير فهو إلى اضمحلال، لأنها غيرُ محفوظة بالبذل، وغير مصانةٍ بالإسداء، أو محروسة بالإهداء ". (بذل المعروف ص:١١)

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" كُلُّ سُلامَى[1] مِنَ النَّاسِ عليه صَدَقَةٌ، كُلَّ يومٍ تَطْلُعُ فيه الشَّمْسُ، يَعْدِلُ بيْنَ الاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، ويُعِينُ الرَّجُلَ علَى دابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عليها، أوْ يَرْفَعُ عليها مَتاعَهُ صَدَقَةٌ، والكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوها إلى الصَّلاةِ صَدَقَةٌ، ويُمِيطُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ.**

وأخرج الإمام الطَّبَرانِيُّ فِي المعجم الكبير" من حديث ابن عباس-رضِي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: **" ابنُ آدمَ ستُّون وثلاثمائةِ مفصَلٍ، على كلِّ واحدٍ منهما في كلِّ يومٍ صدقةٌ، فالكلمةُ الطيِّبةُ يتكلم بها الرجلُ صدقةٌ، وعَونُ الرجلِ أخاه على الشيءِ صدقةٌ، والشربَةُ من الماءِ يسقيها صدقةٌ، وإماطةُ الأذى عن الطريقِ صدقةٌ ".** (صحيح الجامع: ٤٢)

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ قال: **" كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إذَا جَاءَهُ السَّائِلُ، أَوْ طلِبَتْ إلَيْهِ حَاجَةٌ، قَالَ: اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، ويَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ ما شَاءَ ".**

وجاء في فتح الباري للحافظ ابن حجر-رحمه الله-: **" وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ مَا شَاءَ ":** أَيْ يُظْهِرُ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ بِالْوَحْيِ، أَوِ الْإِلْهَامِ مَا قَدَّرَهُ فِي عِلْمِهِ بِأَنَّهُ سَيَقَعُ ".

١ـ السُّلامَى: هي المَفاصِلُ، فكُلُّ مَفْصِلٍ مِن مَفاصِلِ الإنسانِ عليه صَدَقةٌ للهِ تعالَى، مِن فِعلِ الطَّاعةِ والخَيرِ كُلَّ يَومٍ، وهذه الصَّدَقةُ تَكونُ بتَحَرُّكِها في الطَّاعةِ، واشتِغالِها بالعِبادةِ، فتَركيبُ هذه العِظامِ ومَفاصِلِها مِن أعظَمِ نِعَمِ اللهِ على عَبْدِه، فيَحتاجُ كُلُّ عَظمٍ منها إلى صَدَقةٍ يَتصَدَّقُ بها ابنُ آدَمَ عنه؛ لِيَكونَ ذلك شُكرًا لِهذه النِّعمةِ، والمُرادُ صَدَقةُ نَدْبٍ وتَرغيبٍ، لا إيجابٍ وإلزامٍ؛ فإنَّه يَكفي في شُكرِ هذه النِّعَمِ أنْ يَأتيَ بالواجِباتِ، ويَجتَنِبَ المُحَرَّماتِ.

ومعنى الحديث إجمالًا، كما جاء في مرقاة المفاتيح للملا قاري: إِذَا عَرَضَ صَاحِبُ حَاجَةٍ حَاجَتَهُ عَلَيَّ اشْفَعُوا لَهُ إِلَيَّ، فَإِنَّكُمْ إِنْ شَفَعْتُمْ لَهُ حَصَلَ لَكُمْ بِتِلْكَ الشَّفَاعَةِ أَجْرٌ، سَوَاءٌ قُبِلَتْ شَفَاعَتُكُمْ أَوْ لَمْ تُقْبَلْ، وَقَوْلُهُ: وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ – أَيْ: يُجْرِي عَلَى لِسَانِي: مَا شَاءَ – أَيْ: إِنْ قَضَيْتُ حَاجَتَهُ مِنْ شَفَاعَتِكُمْ لَهُ، فَهُوَ بِتَقْدِيرِ اللَّهِ، وَإِنْ لَمْ أَقْضِهَا، فَهُوَ أَيْضًا بِتَقْدِيرِ اللَّه.

أ- صنائع المعروف وقضاء حوائج الناس يقي من مصارع السوء:

فقد أخرج ابن أبي الدنيا في" قضاء الحوائج" من حديث ابن عباس–رضِي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ: " عليكم باصطناعِ المعروفِ، فإنه يمنَعُ مصارعَ السُّوءِ، وعليكم بصدقةِ السِّرِّ، فإنها تُطفئُ غضبَ الربِّ عزَّ وجلَّ ". (صحيح الجامع: ٤٠٥٢)

ب- قضاء حوائج الناس سبيل للنجاة من النار والفوز بالجنة:

أخرج الطبراني في " الكبير" والبيهقي في" شعب الإيمان" من حديث أبي ذر الغفاريِّ ﷺ قال: " سألتُ رسولَ اللهِ ﷺ، ماذا يُنجي العبدَ من النارِ؟ قال: الإيمانُ باللهِ قال: قلتُ: يا نبيَّ اللهِ! إنَّ مع الإيمان عملًا؟ قال: ترضخ مما رزقَك اللهُ– أو يرضخُ مما رزقهُ اللهُ[١]– قال: قلتُ: يا نبيَّ اللهِ! أرأيتَ إنْ كان فقيرًا لا يجدُ ما يرضخُ؟ قال: يأمرُ بالمعروفِ وينهى عن المنكرِ قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ! أرأيتَ إن كان عييًّا[٢]، لا يستطيعُ أن يأمرَ بالمعروفِ، ولا ينهى عن المنكرِ؟ قال: فليصنعْ لأخرقَ[٣] قال: قلتُ: يا نبيَّ اللهِ! أرأيتَ إن كان أخرقَ لا يحسنُ يصنعُ؟ قال: يعينُ مغلوبًا قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ! أرأيتَ إن كان ضعيفًا لا يستطيعُ أن يعينَ مغلوبًا؟ قال: ما تريدُ أن تدعَ لصاحبِك من خيرٍ، قال: فليمسكْ أذاه عن الناسِ قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ، أرأيتَ إن فعلَ هذا أيدخلُ الجنَّةَ؟ قال: ما من مؤمنٍ يصنعُ خصلةً من هذه الخصالِ إلا أخذتْ بيدِه، حتى تدخلَه الجنَّةَ ". (السلسلة الصحيحة: ٢٦٦٩)

أخي الحبيب... لا تحقرن من المعروف شيئًا:

أخرج أبو داود والنسائي في" السنن الكبرى" واللفظ له وأحمد من حديث جابر بن سليم أبو جري الهجيمي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " لا تَحْقِرَنَّ شيئًا مِنَ المعروفِ أنْ تَأْتِيَهُ؛ ولَوْ أنْ تَهبَ صِلَةَ الحَبْلِ[٤]، ولَوْ أنْ تُفرِغَ من دَلْوِكَ في إناءِ المُسْتَسْقِي[٥]، ولَوْ أنْ تَلْقَى أَخاكَ المُسْلِمَ ووَجْهُكَ بَسْطٌ إليهِ[٦]، ولَوْ أنْ تُؤْنِسَ الوَحْشَانَ بِنَفْسِكَ[٧]، ولَوْ أنْ تَهِبَ الشِّسْعَ[٨]". (الصحيحة:٣٤٢٢) (صحيح الترغيب:٢٦٧٨)

١- يرضخ مما رزقه الله: أي يعطي ويتصدق.
٢- عَيِيًا: يعني مَن لا يحسن الكلام.
٣- الأخرق: هو الذي لا يحسن عمله.
٤- ولَوْ أنْ تَهَبَ صِلَةَ الحَبْلِ: يعني أنْ تُعْطِيَ ما يُطيلُ الحَبْلَ القَصيرَ لِصاحِبِكَ، وهذا شَيءٌ حَقيرٌ في حَجْمِه، ولكنَّه يَكونُ صَدَقةً، ويَكونُ مِن عَمَلِ المَعْروفِ الذي يُعْطي عليْه اللهُ أَجْرًا.
٥- ولَوْ أنْ تُفْرِغَ مِن دَلْوِكَ في إناءِ المُسْتَسْقي: فإذا اسْتَقَيْتَ الماءَ مِن بِئْرٍ، وجاءَكَ مُسْلِمٌ على رأسِ البِئرِ، فتُعْطيه مِن مائِكَ الذي أخْرَجْتَه لنَفْسِكَ.
٦- ولَوْ أنْ تَلْقى أَخاكَ المُسْلِمَ ووَجْهُكَ بَسْطٌ إليْه: فيَكونُ وجْهُكَ بَشوشًا مُتَبَسِّمًا، والمُرادُ بالأُخُوَّةِ هُنا: أُخُوَّةُ الإسْلامِ لا النَّسَبِ.
٧- ولَوْ أنْ تُؤْنِسَ الوَحْشانَ بِنَفْسِكَ: أي تَلْقَى الإنْسانَ المُسْتَوْحِشَ الخائفَ بما يُؤْنِسُه مِن القَوْلِ الجَميلِ، أو تُبَلِّغُه مِن أرْضِ الصَّحْراءِ إلى مَكانِ الإنْسِ.
٨- ولَوْ أنْ تَهَبَ الشِّسْعَ: فتُعْطِيَ غَيرَكَ الشِّسْعَ دُون مُقابلٍ، والشِّسْعُ سُيورُ النَّعْلِ، وهو الذي يَدْخُلُ بَيْنَ الإصبَعَينِ، ويَدْخُلُ طَرَفُه في الثُّقْبِ الذي في صَدْرِ النَّعْلِ المَشْدودِ في الزِّمامِ، والزِّمامُ: السَّيْرُ الذي في مُقَدِّمةِ الشِّسْعِ.

٧- فضل إغاثة الملهوف:

أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ. قالوا: فإنْ لَمْ يَجِدْ؟ قالَ:" فَيَعْمَلُ بيدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ ويَتَصَدَّقُ". قالوا: فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أوْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قالَ:" فيُعِينُ ذا الحاجَةِ المَلْهُوفَ". قالوا: فإنْ لَمْ يفْعَلْ؟ قالَ:" فَيَأْمُرُ بالخَيْرِ –أوْ قالَ: بالمَعروفِ– قالَوا: فإنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قالَ:" فيُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ؛ فإنَّه له صَدَقَةٌ ".

وأخرج الإمام أحمد والنسائي في" السنن الكبرى" من حديث أبي ذر الغفاري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " على كلِّ نفسٍ في كلِّ يومٍ طلعتْ عليه الشمسُ صدقةٌ مِنهُ على نفسِه، من أبوابِ الصدقةِ: التَّكبيرُ، وسبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولا إلهَ إلَّا اللهُ، وأستغفِرُ اللهَ، ويأمُرُ بالمعروفِ، وينْهى عنِ المنكرِ[١]، ويعزِلُ الشَّوكَ عن طريقِ الناسِ، والعظْمَ والحجرَ[٢]، وتَهدِي الأعْمَى[٣]، وتُسمِعُ الأصَمَّ[٤] والأبْكمَ[٥] حتى يَفقَهَ[٦]، وتُدِلُّ المستدِلَّ على حاجةٍ لهُ قدْ علِمت مكانَها[٧]، وتَسعَى بشِدَّةِ ساقَيْكَ إلى اللَّهْفَانِ المستغيثِ[٨]، وترفعُ بشِدَّةِ ذِراعيْكَ[٩] مع الضعيفِ[١٠]، كلُّ ذلكَ من أبوابِ الصدَقةِ مِنْكَ على نفسِكَ، ولكَ في جِماعِكَ زوجتَكَ أجرٌ، أرأيتَ لوْ كان لكَ ولَدٌ فأدرَكَ ورجوْتَ أجْرَهُ فماتَ أكُنتَ تَحتَسِبُ بهِ؟ فأنتَ خلقْتَهُ، فأنتَ هديْتَهُ فأنتَ كُنتَ تَرزقُهُ؟ فكذلكَ فضعْهُ في حلالِهِ، وجَنِّبْهُ حرامَهُ، فإنْ شاءَ اللهُ أحْياهُ، وإنْ شاءَ أماتَهُ، ولكَ أجرٌ ". (صحيح الجامع: ٤٠٣٨)

١- ويَأمُرُ بالمَعروفِ، ويَنهى عنِ المُنكَرِ: والمَعروفُ هو كُلُّ ما حَسُنَ مِنَ الأفعالِ والأقوالِ، وأدَّى إلى طاعةِ اللهِ، وإعانةِ النَّاسِ؛ فهو اسمٌ شامِلٌ لِجَميعِ أبوابِ الخَيرِ، والمُنكَرُ: هو كُلُّ ما قَبُحَ مِنَ الأفعالِ والأقوالِ، وأدَّى إلى مَعصيةِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وهو اسمٌ شامِلٌ لِجَميعِ أبوابِ الشَّرِّ، ولذلك فهو مِثْلُ الصَّدَقةِ التي تَنفَعُهم، أو تَدفَعُ الشَّرَّ عنهم.
٢- ويَعزِلُ الشَّوكَ عن طَريقِ النَّاسِ، والعَظْمَ والحَجَرَ: وهذا يَكونُ بإبعادِ كُلِّ ما يُؤْذِي النَّاسَ في طَريقِهم مِن حَجَرٍ أو شَوْكٍ أو غَيْرِه.
٣- وتَهدِي الأعمى: فتَأخُذُ بيَدِه فتُرشِدُه إلى الطَّريقِ.
٤- وتُسمِعُ الأصَمَّ: وهو الذي لا يَسمَعُ.
٥- والأبكَمَ: وهو الأخرَسُ الذي لا يَتكَلَّمُ.
٦- حتى يَفقَهَ: حتى يَفهَمَ المُرادَ منه، فيَعلَمَ ما يُريدُ، وما يُرادُ منه.
٧- وتَدُلُّ المُستَدِلَّ على حاجةٍ له قد عَلِمتَ مَكانَها: فتُرشِدُ التَّائِهَ الذي لا يَعرِفُ الطَّريقَ إلى ما يُريدُه مِنَ الجِهاتِ، وتَدُلُّه على مَكانِ قَضاءِ حَوائِجِه، كما إذا كانَ يَسألُ عن ضالَّةٍ أو صاحِبٍ لا يَعرِفُ مَكانَه، أو نَحوِ ذلك.
٨- وتَسعى بشِدَّةِ ساقَيْكَ إلى اللَّهفانِ المُستَغيثِ: واللَّهفانُ هو المتَحَيِّرُ في أمْرِه، أوِ المَظلومُ الذي يُريدُ النُّصرةَ ورَدَّ حَقِّه، والمُستَغيثُ هو الذي يَطلُبُ الإغاثةَ، وهي العَونُ على المَكارِه، وتَخليصُ المَرءِ مِمَّا أصابَه مِن شَرٍّ.
٩- تَرفَعُ بشِدَّةِ ذِراعَيْكَ: أي: بقُوَّتِكَ.
١٠- مع الضَّعيفِ: فتُعينُ المَرءَ الضَّعيفَ على حَملِ حاجاتِه، كرَفعِ الحاجةِ لِلمَرءِ على دابَّتِه.

٨- فضل التـآلف مع الناس:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات:١٣)

المؤمن الذي يألف ويؤلف هو من أكمل الناس:

أخرج الطبراني في "الأوسط" والبيهقي في "الشعب" عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، الْمُوَطَّئُونَ أَكْنَافًا، الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ ". (صحيح الجامع:١٢٣١)

قال الصنعاني-رحمه الله-: (يَأْلَفُونَ) غيرهم ويأنسون بهم لسلامة صدرهم وحسن خلقهم وصلاح طويتهم. (وَيُؤْلَفُونَ) يألفهم الناس لحسن حالهم وكونهم لهم إلفا، (وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ) فإنه لسوء خليقته وقبيح طريقته وخبث طويته إلا أن يتركهم إيثارا لتقواه وانفرادا بطاعة مولاه وتبعيدا لشره عنهم، (ولا يؤلف) لأنه لا يترك الناس ألفته إلا لقبح حاله، ولسوء خلقه ورداءة عشرته ". اهـ

(التنوير شرح الجامع الصغير:١٠/ ٤٥٠)

وعند الطبراني أيضًا في "الأوسط" عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا، الْمُوَطَّئُونَ أَكْنَافًا[1]، الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ[2]، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ الْمَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ، الْمُلْتَمِسُونَ لِلْبُرَآءِ الْعَنَتَ، الْعَيْبَ ". (صحيح الترغيب والترهيب:٢٦٥٨)

٩- فضل من ألان الكلام للناس:

قال تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا . . . ﴾ (البقرة:٨٣)

قال الشيخ السعدي-رحمه الله- في تفسيره: أمر الله بالإحسان إلى الناس عموما فقال: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ ومن القول الحسن أمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وتعليمهم العلم، وبذل السلام، والبشاشة وغير ذلك من كل كلام طيب. ولما كان الإنسان لا يسع الناس بماله، أمر بأمر يقدر به على الإحسان إلى كل مخلوق، وهو الإحسان بالقول، فيكون في ضمن ذلك النهي عن الكلام القبيح للناس حتى للكفار، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ومن أدب الإنسان الذي أدب الله به عباده، أن يكون الإنسان نزيها في أقواله وأفعاله، غير فاحش ولا بذيء، ولا شاتم، ولا مخاصم، بل يكون حسن الخلق، واسع الحلم، مجاملا لكل أحد، صبورا على ما يناله من أذى الخلق، امتثالا لأمر الله، ورجاء لثوابه ". اهـ

١- الموطؤون أكنافا: والكنف: هو جانب البهيمة، ودابة موطأة الكنف: أي يركبها صاحبها بسهولة، وهذا مثل يضرب للمؤمن وكأنه يذلل ويمهد نفسه، ويجعل نفسه سهلة مع الناس، فهو موطأ الكنف، أي: سهل كالدابة التي يركبها صاحبها بسهولة، ويقال للفراش: هذا فراش وطئ، أي عندما تنام عليه لا يؤذي جنبك، فكذلك الإنسان المؤمن عندما تميل عليه لا يؤذيك أبدًا، ويكون حسن الخلق. فالإنسان المؤمن يجعل نفسه مع المؤمنين سهلًا سمحًا يجيبهم ويتعامل معهم بحسن الخلق. وكل من يصاحبهم لا يتأذى بهم، وهم يفرحون بالحسنة، ويتجاوزون عن السيئة، ويعفون، ويصفحون.

٢- الذين يألفون ويؤلفون: يعني يأنسون بالناس ويأنس الناس بهم، ويحبون صحبتهم ويتقربون منهم.

وأخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث عليّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " إنَّ في الجنَّةِ غرفًا، يُرى ظاهرُها من باطنِها، وباطنُها من ظاهرِها، أعدَّها اللهُ[1] لمَنْ أطعم الطَّعامَ، وأفشى السَّلامَ، وصلَّى بالليلِ والنَّاسُ نيامٌ ". (صحيح الجامع:٢١٢٣) (صحيح الترمذي:١٩٨٤)

وأخرج الإمام أحمد والطَّبَرَانِيُّ وَالْحَاكِمُ واللفظ له من حديث عبدالله بن عمرو -رضِي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: " إنَّ في الجنةِ غُرَفًا يُرَى ظَاهِرُها من باطِنِها، وباطِنُها من ظَاهِرِها. فقال أبو مالكٍ الأَشْعَرِيُّ: لِمَنْ هيَ يا رسولَ اللهِ؟ قال: لِمَنْ أَطَابَ الكَلامَ، وأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وباتَ قائِمًا والناسُ نيامٌ ".

(صحيح الترغيب والترهيب: ٩٤٦)

وأخرج الْبَيْهَقِيُّ فِي " شُعَبِ الْإِيمَانِ " من حديث أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا، يُرى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا أَعَدَّهَا اللَّهُ لِمَنْ أَلَانَ الْكَلَامَ[2]، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَتَابَعَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ ".

وأخرج البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " إن أهل الجنة ليتراؤن أهل الغرف في الجنة، كما ترون الكواكب إلى السماء ".

وأخرج الطبراني واللفظ له وابن حبان وأبو نعيم في" تاريخ أصبهان" من حديث هانئ بن يزيد بن نهيك أبو شريح ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " إن من موجباتِ المغفرةِ بذلُ السلامِ، وحُسنُ الكلامِ[3] ".

(السلسلة الصحيحة: ١٠٣٥) (صحيح الجامع:٢٢٣٢)

وقد جاء في" كتاب الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي:٢/٢٣١" عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: " مَنْ لَانَتْ كَلِمَتُه، وَجَبَتْ مَحَبَّتُه ".

١ـ أَعَدَّهَا اللَّهُ : أَيْ: هَيَّأَهَا.
٢ـ لِمَنْ أَلَانَ الْكَلَامَ: أَيْ: أَطَابَ الْكَلَامَ.
٣ـ حُسنُ الكَلامِ: هو طَيِّبُه ولَيِّنُه؛ لأنَّهما مِن حُسنِ الخُلُقِ والرِّفقِ مع الآخَرين، وهو مأخوذٌ مِن قَولِ اللهِ تعالى: {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا}. وقيلَ: حُسنُ الكلامِ أنْ يُزيِّنَ الإنسانُ ما يَتكلَّمُ به قَبْلَ النُّطْقِ بميزانِ العَقْلِ، ولا يَتكلَّمُ إلَّا بما تدْعو الحاجةُ إليه. وإذا كان الأمرُ في الكلامِ فمِن الأَولى أن يكونَ أيضًا بالأَفعالِ؛ ولذلك جاءَ في الصَّحيحَين مِن حديثِ أبي هُرَيرةَ رَضيَ اللهُ عنه عن النبيِّ ﷺ: "والكلمةُ الطيِّبةُ صَدَقةٌ"؛ لأنَّها تشرَحُ صدْرَ سامِعِها، وتُريحُ فُؤادَه، وتَبعثُ الاطمِئنانَ والرَّاحةَ للإنسانِ، لا سيَّما في أوقاتِ الكَرْبِ، فتجعلُه يُحْسِنُ الظَّنَّ بِرَبِّه.

١٠- فضل وثواب الستر:

كل ابن آدم خطاء، وليس من أحدٍ إلاَّ وله خطأ لا يحب أن يَطَّلِع عليه أحد من الناس، ولذلك كان السَّتْر على الناس خلق وهدي نبوي، لما فيه من حفظ عورات الْمسلمين وسترهم، والإمساك عما يسوؤهم، فتزداد المحبة وتُحفظ الأخوة بينهم، فالمؤمن يستُر وينصَح، ولا يهتك ويفضح.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾ (الحجرات: ١٢) .

وقال مُجاهِدٍ-رحمه الله- في قولِه تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ أي:" خُذوا ما ظهَر لكم، ودَعوا ما ستَر اللهُ".

(جامع البيان لابن جرير الطبري:٢١/٣٧٥).

وقال الطَّبريُّ-رحمه الله-: وقولُه تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ أي: ولا يتتبَّعْ بعضُكم عَورةَ بعضٍ، ولا يبحَثْ عن سرائِرِه، يبتغي بذلك الظُّهورَ على عُيوبِه، ولكن اقنَعوا بما ظهَر لكم مِن أمرِه، وبه فاحمَدوا أو ذُمُّوا، لا على ما لا تعلمونَه مِن سرائِرِه ". **(جامع البيان:٢١/٣٧٥).**

وقال الغَزاليُّ-رحمه الله-: " ومعنى التَّجسُّسِ ألَّا يَترُكَ عِبادَ اللهِ تحتَ سِترِ اللهِ، فيَتوصَّلُ إلى الاطِّلاعِ وهَتكِ السِّترِ حتَّى ينكشِفَ له ما لو كان مستورًا عنه كان أسلَمَ لقَلبِه ودينِه ". **(إحياء علوم الدين:٣/ ١٥٢).**

- **فلا ينبغي تتبُّع عورات المسلمين، بل علينا أن نستر ولا نفضح:**

فقد أخرج أبو داود والبيهقي في" السنن الكبرى" بسند صحيح عن البراء بن عازب ﷺ قال: **خطبنا رسول الله ﷺ حتى أسمع العواتق في بيوتها، أو قال في خدورها، فقال:" يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتَّبِعوا عوراتهم، فإن من تتبَّع عورة أخيه تتبَّع الله عورته، ومن تتبَّع الله عورته يفضحه في جوف بيته "**. (صحيح أبي داود: ٤٨٨٠)

والستر يحبه الله عز وجل وهو صفة من صفاته فأنه سبحانه ستِّير، يستر الذنوب والعيوب، **وقد جاء في الحديث الذي أخرجه أبو داود وصححه الألباني أن النبي ﷺ قال:" إن الله عز وجل حَيِيٌّ سِتِّيرٌ، يحب الحياء والسِّتْر".** أي: يحب السترَ لعباده المؤمنين، ستر عوراتهم، وستر ذنوبهم، فيأمرهم أن يستروا عوراتهم، وأن لا يجاهروا بمعاصيهم في الدنيا، وهو يسترها عليهم في الآخرة.

قال ابن القيم –رحمه الله– في "نونيته":

وَهُو الْحَيِيُّ فَلَيْسَ يَفْضَحُ عَبْدَهُ ... عِنْـدَ التَّجَـاهُرِ مِنْهُ بِالْعِصْيَانِ
لَكِنَّــهُ يُــلْقِي عَلَيــهِ سِتْــرَهُ ... فَهُوَ السَّتِير وَصَاحِبُ الغُفْرَانِ

ذكر ابن قدامة في كتابه التوَّابين قصةً في بني إسرائيل أن موسى عليه السلام خرج يومًا يستسقي، فلم ير في السماء قزعة (سحابة) واشتدَّ الحرُّ، فقال موسى: يا رب، اللهم إنا نسألك الغيث فاسقنا، فقال الله جل وعلا: يا موسى، إن فيكم عبدًا يُبارزني بالذنوب أربعين عامًا، فصِحْ في القوم ونادِ إلى العباد: الذي بارز ربه بالذنوب والمعاصي أربعين عامًا أن اخرج، فقال موسى: يا رب، القوم كثير، والصوت ضعيف، فكيف يبلغهم النداء؟! فقال الله: يا موسى، قل أنت، وعلينا البلاغ، فنادى موسى بما استطاع، وبلغ الصوت جميع السامعين الحاضرين، فما كان من ذلك العبد العاصي - الذي علم أنه المقصود بالخطاب، المرقوم في الكتاب أنه ينادي بعينه بين الخلائق، فلو خرج من بين الجموع، عرف وهتك ستره، وانفضحت سريرته وكشفت خبيئته، فما كان منه إلا أن أطرق برأسه، وأدخل رأسه في جيب درعه أو قميصه، وقال: يا رب، اللهم إني أتوب إليك فاسترني، اللهم إني أتوب إليك فاسترني، اللهم إني أتوب إليك فاسترني، فما لبث موسى ومن معه إلا أن أظلَّهم الغيم، وانفتحت السماء بمطر كأفواه القرب، فقال موسى: يا رب، سقيتنا وأغثتنا ولم يخرج منا أحد، فقال الله: يا موسى، إن من منعتكم السقيا به تاب، وسألني وأعطيته وسقيتكم بعده، فقال موسى: يا رب، أرني ذلك الرجل، فقال الله جل وعلا: يا موسى، سترته أربعين عامًا وهو يعصيني، أفأفضحه وقد تاب إلي وبين يدي؟!

(ضعيف والمعنى صحيح وله شواهد كثيرة من القرآن والسنة تشهد لمعناه)

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" كُلُّ أُمَّتي مُعافًى إلَّا المُجاهِرِينَ، وإنَّ مِنَ المُجاهَرَةِ أنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ باللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وقدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عليه، فَيَقُولَ: يا فُلانُ، عَمِلْتُ البارِحَةَ كَذا وكَذا، وقدْ باتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، ويُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عنْه "**.

قال ابنُ الجَوزيِّ-رحمه الله-: " المُجاهِرونَ: الذين يُجاهِرونَ بالفواحِشِ، ويتحدَّثونَ بما قد فعَلوه منها سرًّا، والنَّاسُ في عافيةٍ مِن جهةِ أنَّهم مستورونَ، وهؤلاء مُفتضَحونَ". (**كشف المشكل:٣/٣٩٧**).

وقال العَينيُّ-رحمه الله-: " سَترُ اللهِ مُستلزِمٌ لسَترِ المُؤمِنِ على نَفسِه؛ فمَن قصَد إظهارَ المعصيةِ والمُجاهَرةَ فقد أغضَب اللهَ تعالى، فلم يستُرْه، ومَن قصَد التَّستُّرَ بها حياءً مِن ربِّه ومِن النَّاسِ، منَّ اللهُ عليه بسَترِه إيَّاه". (**عمدة القاري:٢٢/١٣٨**).

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" لا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا في الدُّنْيا، إلَّا سَتَرَهُ اللَّهُ يَومَ القِيامَةِ "**.

قال القاضي عِياضٌ-رحمه الله-: " يكونُ سَترُه له سَترَ عُيوبِه ومعاصيه عن إذاعتِها على أهلِ المَحشَرِ، وقد يكونُ تَركَ مُحاسَبَتِه عليها وذِكرِها له. والأوَّلُ أظهَرُ ". (**إكمال المعلم:٨/٦١**).

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" مَن نَفَّسَ عن مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِن كُرَبِ الدُّنْيَا[1]، نَفَّسَ اللَّهُ عنْه كُرْبَةً مِن كُرَبِ يَومِ القِيَامَةِ، وَمَن يَسَّرَ علَى مُعْسِرٍ[2]، يَسَّرَ اللَّهُ عليه في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَن سَتَرَ مُسْلِمًا[3]، سَتَرَهُ اللَّهُ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللَّهُ في عَوْنِ العَبْدِ ما كانَ العَبْدُ في عَوْنِ أَخِيهِ[4]...".**

قال ابن حجر-رحمه الله-: وقوله: **" ومن ستر مسلمًا"** أي: رآه على قبيح فلم يظهره للناس، وليس في هذا ما يقتضي ترك الإنكار عليه فيما بينه وبينه ".

وقال المناوي-رحمه الله-: **" من ستر أخاه المسلم في الدنيا"** في قبيح فعله، فلم يفضحه، بأنِ اطَّلع منه على ما يشينه -أي يعيبه- في دينه، أو عِرْضِه، أو ماله، أو أهله، فلم يهتكه ولم يكشفه بالتحدث، " ستره الله يوم القيامة" أي: لم يفضحه على رؤوس الخلائق بإظهار عيوبه وذنوبه، بل يسهل حسابه ويترك عقابه، لأن الله حَيي كريم، وستر العورة من الحياء والكرم".

وأخرج البخاري من حديث ابن عمر-رضِي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: **" المُسْلِمُ أخُو المُسْلِمِ لا يَظْلِمُهُ ولَا يُسْلِمُهُ، ومَن كانَ في حَاجَةِ أخِيهِ كانَ اللَّهُ في حَاجَتِهِ، ومَن فَرَّجَ عن مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عنْه كُرْبَةً مِن كُرُبَاتِ يَومِ القِيَامَةِ، ومَن سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَومَ القِيَامَةِ ".**

وقولُه ﷺ: **" مَن ستَر مُسلِمًا"** أي: بدَنه أو عَيبَه بعدَمِ الغِيبةِ له، والذَّبِّ عن معائِبِه، وهذا بالنِّسبةِ إلى مَن ليس معروفًا بالفسادِ، وإلَّا فيُستحَبُّ أن تُرفَعَ قصَّتُه إلى الوالي، فإذا رآه في معصيةٍ فيُنكِرُها بحسَبِ القُدرةِ، وإن عجَز يرفَعُها إلى الحاكِمِ إذا لم يترتَّبْ عليه مَفسَدةٌ ". (تحفة الأحوذي:٤/٥٧٤).

وأخرج أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة، ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته، حتى يفضحه بها في بيته ".** (صحيح الترغيب والترهيب:٢٣٣٨)

قال المنذري -رحمه الله-: "ستر المسلم هو تغطية عيوبه وإخفاء هنَّاته؛ أي زلاته وهفواته وقبائحه ".

وأخرج الإمام أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ والطبراني في" المعجم الأوسط" من حديث عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" مَنْ رَأَى عَوْرَةً[5] فَسَتَرَهَا[6]؛ كَانَ كَمَنْ أَحْيَا مَوْءُودَةً[7] ".** (صحيح الترغيب والترهيب:٢٣٣٧)

١- مَن نَفَّسَ عن مُؤمنٍ كُربةً مِن كُرَبِ الدُّنْيَا: أي: رَفَعَ عن مُؤمنٍ حُزنًا وعَناءً وشِدَّةً، ولو كان يَسيرًا، فيكونُ الثَّوابُ والأجْرُ أنْ يُنَفِّسَ اللهُ عنه كُربةً مِن كُرَبِ يومِ القِيامةِ، وتَنْفيسُ الكُرَبِ إحسانٌ، فجَزاه اللهُ جَزاءً وِفاقًا.

٢- ومَن يَسَّرَ على مُعسِرٍ: والتَّيسيرُ على المُعسِرِ في الدُّنيا مِن جِهةِ المالِ يكونُ بأحَدِ أمْرَينِ: إمَّا بإنْظارِه إلى المَيسَرةِ، وتارَّةً بالوضْعِ عنه إنْ كان غَريمًا، أي: عليه دَينٌ، وإلَّا فبإعْطائِه ما يَزولُ به إعسارُه، وكِلاهُما له فَضلٌ عَظيمٌ، وجَزاؤُه أنْ يُيسِّرَ اللهُ عليه في الدُّنيا والآخرةِ مُقابِلَ تَيسيرِه على عَبدِه؛ مُجازاةً له بجِنسِ عَملِه.

٣- ومَن سَتَرَ مُسلِمًا: أي رآهُ على قَبيحٍ فلم يُظهِرْه للناسِ، فيكونُ جَزاؤُه أنْ يَستُرَه اللهُ في الدُّنيا، أي: يَستُرَ عَورتَه أو عُيوبَه، ويَستُرَه في الآخِرةِ عن أهْلِ المَوقِفِ. وهذا فِيمَن كان مَستورًا لا يُعرَفُ بشَيءٍ مِن المعاصي، فإذا وَقَعت منه هفوةٌ أو زَلَّةٌ، فإنَّه لا يَجوزُ هتْكُها ولا كشْفُها ولا التَّحدُّثُ بها، وليْس في هذا ما يَقْتَضي تَرْكَ الإنكارِ عليه فيما بيْنَه وبيْنَه.

٤- واللهُ في عَونِ العَبْدِ ما كان العَبْدُ في عَونِ أخيهِ: أي: مَن أعانَ أخاهُ أعانَه اللهُ، ومَن كان ساعيًا في قَضاءِ حاجَاتِ أخيهِ، قَضى اللهُ حاجاتِه؛ فالجزاءُ مِن جِنسِ العمَلِ.

٥- مَنْ رَأَى عَوْرَةً: وَهِيَ مَا يَكْرَهُ الْإِنْسَانُ ظُهُورَهُ، فَالْمَعْنَى مَنْ عَلِمَ عَيْبًا أَوْ أَمْرًا قَبِيحًا فِي مُسْلِمٍ.

٦- فَسَتَرَهَا: أَوْ رَأَى عَوْرَةَ مُسْلِمٍ مَكْشُوفَةً فَسَتَرَهَا بِثَوْبِهِ أَوْ مِنْ عِنْدِهِ. وَقَالَ الطِّيبِيُّ أَيْ: مَنْ رَأَى خَلَلًا مِنْ هَتْكِ سِتْرٍ أَوْ وَقْعٍ فِي عِرْضٍ وَنَحْوِهِمَا ؛ لِأَنَّ النَّاسَ يَخْتَلُّ حَالُهُمْ عِنْدَهَا.

٧- كَانَ كَمَنْ أَحْيَا مَوْءُودَةً: أَيْ كَانَ ثَوَابُهُ كَثَوَابِ مَنْ أَحْيَا مَوْءُودَةً: بِأَنْ رَأَى أَحَدٌ أَحَدًا يُرِيدُ وَأْدَ بِنْتٍ فَمَنَعَ أَوْ سَعَى فِي خَلَاصِهَا وَلَوْ بِحِيلَةٍ، وَقَالَ الْمُظْهِرُ: بِأَنْ رَأَى حَيًّا مَدْفُونًا فِي قَبْرٍ فَأَخْرَجَ ذَلِكَ الْمَدْفُونَ مِنَ الْقَبْرِ كَيْلَا يَمُوتَ، وَوَجْهُ تَشْبِيهِ السَّتْرِ عَلَى عُيُوبِ النَّاسِ بِإِحْيَاءِ الْمَوْءُودَةِ أَنَّ مَنِ انْتَهَكَ سِتْرَهُ يَكُونُ مِنَ الْخَجَالَةِ كَمَيِّتٍ إِذْ يُحِبُّ الْمَوْتَ مِنْهَا، فَإِذَا سَتَرَ أَحَدٌ عَلَى عَيْبِهِ، فَقَدْ دَفَعَ عَنْهُ الْخَجَالَةَ الَّتِي هِيَ عِنْدَهُ بِمَنْزِلَةِ الْمَوْتِ". اهـ

وأخرج الإمام أحمد والطبراني في" المعجم الكبير" عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ **أَنَّه أَتَى مَسْلَمَةَ بْنَ مُخَلَّدٍ وَهُوَ أَمِيرٌ عَلَى مِصْرَ وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَوَّابِ شَيْءٌ فَسَمِعَ صَوْتَهُ فَأَذِنَ لَهُ فَقَالَ إِنِّي لَمْ آتِكَ زَائِرًا وَلَكِنِّي جِئْتُكَ لِحَاجَةٍ أَتَذْكُرُ يَوْمَ قَالَ عَبَّادٌ فِي حَدِيثِهِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ عَلِمَ مِنْ أَخِيهِ سَيِّئَةً فَسَتَرَهَا سَتَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ لِهَذَا جِئْتُ ".** (صحيح الترغيب والترهيب:٢٣٣٦)

وأخرج الطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" من غسَّل ميتًا فستره، ستره الله من الذنوب، ومن كفَّنه كساه الله من السندس ".** (السلسلة الصحيحة: ٢٣٥٣) (صحيح الجامع:٦٤٠٣)

وأخرج الحاكم والبيهقي والطبراني من حديث أبي رافع ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" من غسَّل ميتًا فكتم عليه، غفر الله له أربعين مرة، ومن كفن ميتا كساه الله من سندس وإستبرق الجنة، ومن حفر لميت قبرًا وأجنّه فيه أجري له من الأجر كأجر مسكن إلى يوم القيامة ".**

– *وفي رواية:* **" من غسَّل مسلمًا، فكتم عليه، غفر الله له أربعين مرَّة، ومن حفر له فأجنَّه أجرى عليه كأجر مسكن أسكنه إياه إلى يوم القيامة، ومن كفّنه كساه الله يوم القيامة من سندس واستبرق الجنة".**

(أخرجه الحاكم والبيهقي).

في هذا الحديث بيان فضل من غسَّل ميتًا فرأى منه عيبًا فكتمه، والذي يرى من الميت من المكروهات نوعان: النوع الأول: ما يتعلق بحاله، النوع الثاني: ما يتعلق بجسده، فالأول: لو رأى مثلًا أن الميت تغير وجهه واسودَّ وقبح فهذا قد يكون دليلًا على سوء خاتمته نسأل الله العافية فلا يحل له أن يقول للناس إني رأيت هذا الرجل على هذه الصفة لأن هذا كشف لعيوبه والرجل قدم على ربه وسوف يجازيه بما يستحق من عدل أو فضل، والثاني: كأن يرى عيبًا في ظهره كان يستره عن الناس في حياته، والساتر له بذلك الأجر العظيم من الغفران أربعين مرة.

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود من حديث أبي هريرة ﷺ **أن رسول الله ﷺ صلَّى، فلما سلَّم أقبل عليهم بوجهه، فقال:" مجالسكم، هل منكم الرجل إذا أتى أهله أغلق بابه وأرخى ستره، ثم يخرج فيحدث، فيقول: فعلت بأهلي كذا، وفعلت بأهلي كذا؟"، فسكتوا، فأقبل على النساء، فقال:" هل منكن من تحدث؟" فجثت فتاة كعاب على إحدى ركبتيها وتطاولت؛ ليراها رسول الله ﷺ، وليسمع كلامها، فقالت: إي والله، إنهم يتحدثون وإنهن ليتحدثن، فقال:" هل تدرون ما مثل من فعل ذلك؟ إن مثل من فعل ذلك، مثل شيطان وشيطانة لقي أحدهما صاحبه بالسكة، فقضى حاجته منها، والناس ينظرون إليه ".**

(صحيح الجامع :٧٠٣٧).

وفي قصَّةِ ماعِزِ بنِ مالِكٍ الأسلَميِّ ﷺ، عندَما جاء إلى رسولِ اللهِ ﷺ، واعتَرَف على نَفسِه بالزِّنا، وسأله أن يُقيمَ عليه الحدَّ ليُطهِّرَه، فأمَر النَّبيُّ ﷺ برَجمِه[1]؛ فإنَّ النَّبيَّ ﷺ لم يسألْه معَ مَن زنَيتَ، وكذلك المرأةُ الغامِديَّةُ[2]عندَما أقرَّت على نَفسِها لم يسألْها النَّبيُّ ﷺ عن ذلك.

وفي هذه القصَّة عندما جاء ماعز الأسلمي إلى النبي ﷺ واعترف على نفسه بالزِّنى، قال النبي ﷺ للرجل الذي أشار عليه أن يأتي إليه ويقر على نفسه بالزنى:" **يا هَزَّال! لو سَتَرْته بردائك كان خيرًا لك**". (رواه أحمد وصححه الألباني). **قال أبو الوليد الباجي:**" وقوله ﷺ لـهزَّال:" يا هَزَّال! لو سَتَرْته بردائك كان خيرًا لك"، يريد: ممَّا أظهرته من إظهار أمره، فكان ستْره بأن يأمره بالتَّوبة، وكتمان خطيئته، وإنَّما ذكر فيه الرِّداء على وجه المبالغة، بمعنى أنَّه لو لم تجد السَّبيل إلى سِتْره إلَّا بأن تَسْتُره بردائك ممَّن يشهد عليه، لكان أفضل ممَّا أتاه، وتسبَّب إلى إقامة الحدِّ عليه". وقال ابن الأثير:" **ألَا سَتَرْته بثوبك يا هَزَّال**"، إنما قال ذلك حُبًّا لإخفاء الفضيحة، وكراهيةً لإشاعتها ".

- **وفي إحدى روايات حديث ماعز عند البيهقي وغيره، إنه جاء إلى أبي بكر الصديق ﷺ فقال: إن الآخر زنى (يريد نفسه)، فقال له أبو بكر ﷺ: هل ذكرت هذا لأحد غيرى؟ فقال: لا، قال أبو بكر: فتب إلى الله واستتر بستر الله؛ فإن الله يقبل التوبة عن عباده، فلم تقرَّه نفسُه حتى أتى عمر بن الخطاب ﷺ، فقال له كما قال لأبي بكر ﷺ، فقال له عمر ﷺ كما قال له أبو بكرﷺ، فلم تقرَّه نفسُه حتى أتى رسول الله ﷺ، فقال: إن الآخر زنى، قال سعيد: فأعرض عنه رسول الله ﷺ مرارًا، كل ذلك يعرض عنه حتى إذا أكثر عليه بعث إلى أهله، فقال:" أيشتكي به جنة؟"، فقالوا: والله إنه لصحيح، فقال رسول الله ﷺ:" أبكر أم ثيب؟"، فقالوا: بل ثيب، فأمر به رسول الله ﷺ فرجم، والنبي ﷺ لما بلغه أن هزالًا الأسلمي هو الذي أشار على ماعز بالاعتراف، دعاه ثم قال:" يا هزال، لو سترته بثوبك، كان خيرًا لك مما صنعتَ به".** (صححه الألباني في" الصحيحة")

١- والحديث رواه الإمام مسلم من حديث عن بُريدةَ بنِ الحُصَيبِ ﷺ قال: جاء ماعزُ بنُ مالكٍ ﷺ إلى النَّبيِّ ﷺ، فقال: يا رسولَ اللهِ! طَهِّرْني. فقال: ويحك! ارجِعْ فاستغفِرِ اللهَ وتُبْ إليه. قال: فرجَع غيرَ بعيدٍ، ثمَّ جاء فقال: يا رسولَ اللهِ طَهِّرني. فقال رسولُ اللهِ ﷺ: ويحَك! ارجِعْ فاستغفِرِ اللهَ وتُبْ إليه. قال: فرجَع غيرَ بعيدٍ، ثمَّ جاء فقال: يا رسولَ اللهِ طَهِّرْني، فقال النَّبيُّ ﷺ مِثْلَ ذلك حتَّى إذا كانت الرَّابعةُ قال له رسولُ اللهِ ﷺ: فيمَ أُطَهِّرُك؟ فقال: من الزِّنا. فسأل رسولُ اللهِ ﷺ: أبه جنونٌ؟ فأُخبِرَ أنَّه ليس بمجنونٍ. فقال: أشرِبَ خمرًا؟ فقام رجلٌ فاستَنْكَهَه، فلم يجِدْ منه ريحَ خَمرٍ. قال: فقال رسولُ اللهِ ﷺ: أزنيتَ؟ فقال: نعم. فأمَرَ به فرُجِمَ.

- وفي روايةٍ عن نُعَيمِ بنِ هَزَّالٍ: أنَّ هَزَّالًا كان استأجَر ماعِزَ بنَ مالِكٍ، وكانت له جاريةٌ يُقالُ لها: فاطِمةُ، قد أملَكَت، وكانت ترعى غَنمًا لهم، وأنَّ ماعِزًا وقَع عليها، فأخبَرَ هَزَّالًا فخدَعه، فقال: انطلِقْ إلى النَّبيِّ ﷺ فأخبِرْه، عسى أن ينزِلَ فيك قرآنٌ، فأمَر به النَّبيُّ ﷺ فرُجِم، فلمَّا عضَّته مسُّ الحِجارةِ انطلَق يسعى، فاستقبَلَه رجُلٌ بلَحْيِ جَزورٍ- أو ساقِ بَعيرٍ- فضرَبه به فصرَعه، فقال النَّبيُّ ﷺ:" وَيلَك يا هَزَّالُ، لو كنْتَ ستَرْتَه بثوبِك كان خيرًا لك!. (أخرجه أبو داود، وأحمد واللفظ له).

(صحيح الجامع: ٧٩٩٠) (وصحَّحه لغيره شعيب الأرناؤوط في تخريج سنن أبي داود: ٧٩٩٠).

لحْيُ الإنسانِ والدَّابَّةِ: العظمُ الذي تَنبُتُ عليه اللِّحْيةُ. (جمهرة اللغة لابن دريد: ١/ ٥٧٢). والجَزورُ من الإبِلِ يقَعُ على الذَّكَرِ والأنثى.

(مختار الصحاح لزين الدين الرازي ص: ٥٧).

والنَّبيُّ ﷺ إنَّما قال ذلك حُبًّا لإخفاءِ الفضيحةِ، وكراهيَةً لإشاعتِها. (شرح سنن أبي داود لابن رسلان: ١٦/ ١٦٦).

٢- والحديث رواه الإمام مسلم عن بُريدةَ بنِ الحُصَيبِ ﷺ قال: ثمَّ جاءته امرأةٌ من غامدٍ من الأزدِ، فقالت: يا رسولَ اللهِ! طَهِّرْني. فقال: ويحَكِ! ارجِعي فاستغفري اللهَ وتوبي إليه. فقالت: أراك تريدُ أن تردُدَني كما ردَدْتَ ماعِزَ بنَ مالكٍ! قال: وما ذاكِ؟ قالت: إنَّها حبلى من الزِّنا. فقال: آنت؟ قالت: نعم. فقال لها: حتى تضعي ما في بطنِك، قال: فكفَلَها رجلٌ من الأنصارِ حتَّى وضَعَت....

وقوله ﷺ لهزال:" **يا هزال! لو سترته بثوبك كان خيرًا لك**"؛ يريد: مما أظهرته من إظهار أمره، فكان ستره بأن يأمره بالتوبة، وكتمان خطيئته، قال ابن عبد البر: "وفي هذا الحديث من الفقه: أن الستر أولى بالمسلم على نفسه إذا وقع حدًّا من الحدود من الاعتراف به عند السلطان، وذلك مع اعتقاد التوبة والندم على الذنب، وتكون نيته ومعتقده ألا يعود، فهذا أولى به من الاعتراف؛ فإن الله يقبل التوبة عن عباده، ويحب التوابين"، وعن عثمان بن أبي سودة، قال: لا ينبغي لأحد أن يهتك ستر الله، قيل: وكيف يهتك ستر الله؟ قال: يعمل الرجل الذنب فيستره الله عليه فيذيعه في الناس، قال ابن بطال: في الجهر بالمعصية استخفاف بحق الله ورسوله وبصالحي المؤمنين، وفيه ضرب من العناد لهم، وفي الستر بها السلامة من الاستخفاف؛ لأن المعاصي تذل أهلها، ومن إقامة الحد عليه إن كان فيه حد، ومن التعزير إن لم يوجب حدًّا، وإذا تمحض حق الله، فهو أكرم الأكرمين، ورحمته سبقت غضبه؛ فلذلك إذا ستره في الدنيا لم يفضحه في الآخرة، والذي يجاهر يفوته جميع ذلك ". (فتح الباري: ١٠/٤٨٧)

وقد كان النبي ﷺ إذا رأى شيئًا يُنكره ويكرهُه من أحد، عرَّض وألمح، ولم يُصَرِّح باسم فاعله.

كما جاء في الحديث الذي أخرجه أبو داود عن عائشة –رضي الله عنها– قالت:" كان النبي ﷺ إذا بلغه ما يكرهه لم يقل: ما بال فلان يقول كذا، ولكن يقول: ما بال أقوام يصنعون أو يقولون كذا، يُكنى عنه ولا يسمى فاعله ". (صححه الألباني).

ثالثًا: فضل الستر مِن أقوالِ السَّلفِ والعُلَماءِ:

وفي مصنف عبد الرزاق عن أبي بكر الصديق ﷺ أنه قال: **" لوْ لمْ أجِدْ للسارق والزاني وشارب الخمر إلا ثوبي لأحببت أن أستره عليه ".**

وأخرج الخرائطي في" مكارم الأخلاق" عن أبي بكر ﷺ قال: **" لو أخذت سارقًا لأحببت أن يستره الله، ولو أخذت شاربًا لأحببت أن يستره الله –عز وجل–".**

قال المعرورُ بنُ سُوَيدٍ–رحمه الله–: **" أُتِي عُمرُ بامرأةٍ راعِيةٍ زنَت، فقال عُمرُ: وَيحَ المُرَيَّةِ! أذهَبَت حَسَبَها! اذهَبا فاضرِباها، ولا تخرِقا جِلدَها، إنَّما جعَل اللهُ أربعةَ شُهداءَ سِترًا ستَركم به دونَ فواحِشِكم؛ فلا يَطَّلِعَنَّ سَترَ اللهِ منكم أحدٌ، ولو شاء لجعَله رجُلًا صادِقًا أو كاذِبًا ".**

(رواه عبد الرزاق) (أبو الشيخ في التوبيخ والتنبيه).

وجاء في كتاب الزهد لوكيع بن الجراح:"٧٧٤/٣" أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ بَعَثَ شُرَحْبِيلَ بْنَ السَّمْطِ قِبَلَ أَرْضٍ، فَقَامَ فَقَالَ لأَصْحَابِهِ: إِنَّكُمْ قَدْ نَزَلْتُمْ أَرْضًا كَثِيرَةَ النِّسَاءِ وَالشَّرَابِ فَأَعْزَمَ عَلَى رَجُلٍ أَتَى حَدًّا إلا قَامَ حَتَّى أُطَهِّرَهُ، فَقَامَ رَجُلٌ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ "أَنْتَ الَّذِي تَأْمُرُ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَهْتِكُوا سَتْرَ اللَّهِ الَّذِي سَتَرَهُ"، ثُمَّ قَالَ عُمَرُ ﷺ:" لا تَهْتِكْ سِتْرًا سَتَرَهُ اللَّهُ ".

- ***وفي رواية:*** أن عمر بن الخطاب ﷺ كتب إليه:" لا أم لك، تأمر قوما ستر الله عليهم أن يهتكوا ستر الله عليهم.

- ***وفي تفسير الطبري عن عامر قال:***" أتى رجل عمر ﷺ فقال: إن ابنةً لي كانت وُئِدت في الجاهلية فاستخرجْتُها قبل أن تموت، فأدْرَكَت الإسلام، فلما أسلمت أصابت حدًا من حدود الله، فعمدتْ إلى الشفرة لتذبح بها نفسها، فأدركتُها وقد قطعت بعض أوداجها (عروقها)، فداويتُها حتى برِئت، ثم إنها أقبلت بتوبة حسنة، فهي تُخْطَبُ إليّ يا أمير المؤمنين، أفأخبر من شأنها بالذي كان؟ فقال عمر ﷺ: أتُخْبِرُ بشأنها؟! تعْمَد إلى ما ستره الله فتبديه؟ والله لئن أخبرتَ بشأنها أحدًا من الناس لأجعلنك نكالًا لأهل الأمصار، بل أنكحها (زَوِّجْها) بنكاح العفيفة المسلمة ".

وأخرج الخرائطي في" مكارم الأخلاق" عن مريم بنت طارق: **أن امرأة قالت لعائشة: يا أم المؤمنين! إن كَريًّا -هو من يؤجرك دابته- أخذ بساقي وأنا محرمة.. فقالت: حِجرًا حِجرًا حَجرًا -أي: سترًا وبراءة من ذلك- وأعرضت بوجهها وقالت: يا نساء المؤمنين.. إذا أذنبت إحداكن ذنبًا فلا تخبرن به الناس ولتَستَغفِرَنَّ الله ولتَتُب إليه؛ فإن العباد يُعَيِّرون ولا يُغَيِّرون، والله -تعالى- يُغَيِّرُ ولا يُعَيِّرُ".**

وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه عن أبي هريرة ﷺ قال:" **من أطفأ على مؤمن سيئة فكأنما أحيا موءودة ".**

- ***وقال عبدُ اللهِ بنِ مسعودٍ ﷺ:***" **ثلاثٌ أحلِفُ عليهنَّ، والرَّابِعةُ لو حلَفْتُ لبَرِرْتُ: لا يجعَلُ اللهُ مَن له سَهمٌ في الإسلامِ كمَن لا سَهمَ له، ولا يتولَّى اللهَ عبدٌ في الدُّنيا فولَّاه غَيرَه يومَ القِيامةِ، ولا يُحِبُّ رجُلٌ قومًا إلَّا جاء معَهم يومَ القِيامةِ، والرَّابِعةُ التي لو حلَفْتُ عليها لبَرِرْتُ: لا يستُرُ اللهُ على عبدٍ في الدُّنيا إلَّا ستَرَ عليه في الآخِرةِ ".** (رواه عبد الرزاق) (وأبو نعيم في حلية الأولياء:١/١٣٧) (والبيهقي في شعب الإيمان:٩٠١٢).

- ***وقال العَلاءُ بنُ بَدرٍ-رحمه الله-:***" لا يُعذِّبُ اللهُ عزَّ وجلَّ قومًا يستُرونَ الذُّنوبَ ". (المصدر السابق).

وقال الضحاك-رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (لقمان: ٢٠):" أما الظاهرة فالإسلام والقرآن.. وأما الباطنة فما يستر من العيوب ".

- ***وقال الحَسنُ البَصريُّ-رحمه الله-:***" مَن كان بَينَه وبَينَ أخيه سِترٌ فلا يكشِفْه ".
(مكارم الأخلاق للخرائطي ص: ١٤٩).

وقال العِزّ بنُ عبدِ السَّلامِ-رحمه الله-:" المُبالَغةُ في سَترِ العَوراتِ مِن أشرَفِ المُروءاتِ ".
(شجرة المعارف والأحوال ص: ٣٠٦).

- ***وقال الحَصْكَفيُّ -رحمه الله-:***" اللَّئيمُ يفضَحُ، والكريمُ يُصلِحُ ". (الدر المختار شرح تنوير الأبصار ص: ٨).

وقال علام بن مسكين: سأل رجلٌ الحسنَ -رحمه الله- فقال: يا أبا سعيد! رجل عَلِمَ من رجل شيئا، أيفشي عليه؟ قال: يا سبحان الله! لا ".

وقال الفُضَيلُ بنُ عِياضٍ -رحمه الله-: " المُؤمنُ يستُرُ ويعِظُ وينصَحُ، والفاجِرُ يهتِكُ ويُعيِّرُ ويُفشي ".
(حلية الأولياء لأبي نعيم:٨/ ٩٥).

وقال عثمان بن أبي سودة: " لا ينبغي لأحد أن يهتك ستر الله، قيل: وكيف يهتك ستر الله؟ قال: يعمل الرجل الذنب فيستره الله عليه فيذيعه في الناس".

وقال بكر بن عبد الله -رحمه الله-: " ما عليك أن تُنزل الناس منزلة أهل البيت، فتنزل من كان أكبر منك منزلة أبيك، وتنزل من كان منهم قرينك منزلة أخيك، وتنزل من كان أصغر منك منزلة ولدك، فأي هؤلاء تحب أن يُهتَك سترُه؟". **(مدارة الناس لابن أبي الدنيا ص:٤٥)**

- ***وقال الضِّياءُ بنُ الأثيرِ -رحمه الله-:*** " ليس الصَّديقُ مَن عدَّ سَقَطاتِ قرينِه، وجازاه بغثِّه وسمينِه، بل الصَّديقُ مَن ماشى أخاه على عَرَجِه، واستقام له على عِوَجِه، فذلك الذي إن رأى سيِّئةً وطِئَها بالقَدَمِ، وإن رأى حَسنةً رفَعها على عَلَمٍ ". **(المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر:١/ ١٢٥).**

ويُحكى أن عقبة بن عامر ﷺ كان له كاتب.. وكان جيران هذا الكاتب يشربون الخمر؛ فقال يومًا لعقبة: إنَّ لنا جيرانًا يشربون الخمر.. وسأخبر الشرط ليأخذوهم.. فقال عقبة: لا تفعل عِظْهُمْ. فقال الكاتب: إني نهيتهم فلم ينتهوا.. وأنا داعٍ لهم الشرط ليأخذوهم.. فقال عقبة: ويحك. لا تفعل؛ فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: "من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موءودة ". **(رواه أبو داود).**

- ***وقال شُبَيلُ بنُ عَوفٍ الأحمَسيِّ -رحمه الله-:*** " كان يُقالُ: مَن سمِع بفاحِشةٍ فأفشاها، فهو فيها كالذي أبداها ". **(صحيح الأدب المفرد:٢٤٨). (صحيح الأدب المفرد:٣٢٥).**

وقال عبدُ اللهِ بنِ المُبارَكِ -رحمه الله-: " كان الرَّجلُ إذا رأى مِن أخيه ما يكرَهُ أمَرَه في سَترٍ، ونهاه في سَترٍ، فيُؤجَرُ في سَترِه، ويُؤجَرُ في نَهيِه، فأمَّا اليومَ فإذا رأى أحدٌ مِن أحدٍ ما يكرَهُ استغضَب أخاه، وهتَك سِترَه ". **(روضة العقلاء لابن حبان:١/١٩٦).**

- ***وقال عُبَيدُ اللهِ بنُ عبد الكريمِ الجيليِّ -رحمه الله-:*** " مَن رأيتَه يطلُبُ العَثَراتِ على النَّاسِ فاعلَمْ أنَّه معيوبٌ، ومَن ذكَر عَوراتِ المُؤمِنينَ فقد هتَك سِترَ اللهِ المُرخي على عِبادِه ".
(التوبيخ والتنبيه لأبي الشيخ ص: ١٠١).

- ***وقال أبو البَركاتِ الغَزيُّ العامِريُّ -رحمه الله- في كلامِه عن آدابِ العِشرةِ بَينَ المُسلِمينَ:*** " ومنها: الاجتِهادُ في سَترِ عَوراتِ الإخوانِ وقبائِحِهم، وإظهارِ مناقِبِهم، وكونِهم يدًا واحِدةً في جميعِ الأوقاتِ ".
(آداب العشرة:١/٥٣).

- ***وقال ابنُ رَجبٍ-رحمه الله-:*** " رُوِي عن بعضِ السَّلفِ أنَّه قال: أدركْتُ قومًا لم يكنْ لهم عُيوبٌ، فذكَروا عُيوبَ النَّاسِ؛ فذكَر النَّاسُ عُيوبَهم، وأدركْتُ أقوامًا كانت لهم عُيوبٌ، فكفُّوا عن عُيوبِ النَّاسِ؛ فنُسِيَت عُيوبُهم ". (جامع العلوم والحكم:٢/٢٩١).

- ***وقال ابنُ القيِّمِ-رحمه الله-:*** " وأمَّا اكتِفاؤُه في القَتلِ بشاهِدَينِ دونَ الزِّنا، ففي غايةِ الحِكمةِ والمصلَحةِ؛ فإنَّ الشَّارِعَ احتاط للقِصاصِ والدِّماءِ، واحتاط لحدِّ الزِّنا، فلو لم يقبَلْ في القَتلِ إلَّا أربعةً لضاعت الدِّماءُ، وتواثَب العادونَ، وتجرَّؤوا على القَتلِ، وأمَّا الزِّنا فإنَّه بالَغ في سَترِه، كما قدَّر اللهُ سَترَه، فاجتمَع على سَترِه شَرعُ اللهِ وقَدَرُه، فلم يقبَلْ فيه إلَّا أربعةً يصِفونَ الفِعلَ وَصفَ مُشاهَدةٍ ينتفي معها الاحتِمالُ، وكذلك في الإقرارِ لم يكتَفِ بأقلَّ مِن أربَعِ مرَّاتٍ؛ حِرصًا على سَترِ ما قدَّر اللهُ سَترَه، وكَرِهَ إظهارَه والتَّكلُّمَ به، وتوعَّد مَن يُحِبُّ إشاعتَه في المُؤمِنينَ بالعذابِ الأليمِ في الدُّنيا والآخِرةِ ". (إعلام الموقعين:٢/٥٠).

- ***وقال أيضًا:*** " للعَبدِ سِترٌ بَينَه وبَينَ اللهِ، وسِترٌ بَينَه وبَينَ النَّاسِ؛ فمَن هتَك السِّترَ الذي بَينَه وبَينَ اللهِ هتَك اللهُ السِّترَ الذي بَينَه وبَينَ النَّاسِ". (الفوائد:١/٣١).

- ***وقال أيضًا:*** " ومِن النَّاسِ مَن طَبعُه طَبعُ خِنزيرٍ؛ يمُرُّ بالطَّيِّباتِ فلا يَلوي عليها، فإذا قام الإنسانُ عن رَجيعِه قمَّه[1]، وهكذا كثيرٌ مِن النَّاسِ؛ يسمَعُ منك، ويرى مِن المحاسِنِ أضعافَ أضعافِ المساوِئِ، فلا يحفَظُها ولا ينقُلُها، ولا تُناسِبُه، فإذا رأى سَقطةً أو كلمةً عَوراءَ، وجَد بُغيتَه وما يُناسِبُها، فجعَلها فاكِهتَه ونُقْلَه ". (مدارج السالكين:١/٤٠٦).

ومن فضل وفوائِدُ السَّترِ كذلك:

١- نَشرُ المحبَّةِ والأُلفةِ بَينَ المُؤمِنينَ.

٢- أنَّه يُعينُ العاصيَ على أن يتدارَكَ نَفسَه، ويتوبَ إلى اللهِ توبةً نصوحًا، وبالعكس؛ فلو فضَح وشهَّر به لكان في هذا إعانةٌ للشَّيطانِ عليه؛ حيثُ يدفَعُه إلى مَزيدٍ مِن المعاصي والآثامِ.

٣- أنَّ فَضحَ النَّاسِ- وخاصَّةً أهلَ الفَضلِ منهم إن بدَت منهم زلَّةٌ أو هَفوةٌ- قد يُجرِّئُ كثيرًا مِن عوامِّ النَّاسِ على المعاصي.

٤- أنَّ نَفسَ السَّاتِرِ تَزكو، ويرضى عنه اللهُ، ويستُرُه في الدُّنيا والآخِرةِ.

٥- صِيانةُ الأعراضِ مِن المِساسِ بها أو الطَّعنِ فيها.

٦- السَّترُ يُعوِّدُ الإنسانَ أن يكونَ أمينًا حينَ يستُرُ غيرَه ويحفَظُ سِرَّه.

١- قمَّه: قَمَّ الشَّيءَ قَمًّا: كنَسَه، وقمَّ الرَّجُلُ: أكلَ ما على الخِوانِ. (لسان العرب لابن منظور:١٢/٤٩٣)، (القاموس المحيط للفيروزآبادي :١١٥١).

٧- السَّترُ يُساعِدُ في الحدِّ مِن تداعي خَطرِ الجريمةِ؛ فإنَّ عَدمَ السَّترِ على بعضِ العُصاةِ يزيدُهم إصرارًا على المعصيةِ، وتكبُّرًا عن الرُّجوعِ عنها.

٨- وِقايةُ النَّفسِ مِن الأخلاقِ المذمومةِ؛ كالسَّعيِ لإسقاطِ الآخَرينَ، وتعييرِهم والتَّشهيرِ بهم، وفَضحِهم والتَّنقُّصِ منهم.

٩- يُساعِدُ على انشِغالِ الإنسانِ بعُيوبِ نَفسِه.

١٠- التَّخلُّقُ بصِفةٍ يُحبُّها اللهُ تعالى، وهي السَّترُ.

١١- فضل من ردَّ غيبة أخيه المسلم وذّبَّ عن عرضه:

اعلم أخي الكريم أن مَن يذبُّ[١] عن أخيه في غيبته، يذب الله عنه النار يوم القيامة، والجزاء من جنس العمل.

فقد أخرج الإمام أحمد من حديث أسماء بنت يزيد -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: **" مَن ذبَّ عن عِرضِ أخيه بالغِيبة، كان حقًا على الله أن يعتقه من النار".** (صحيح الجامع:٦٢٤٠)

وفي هذا الحديث الحث على عدم سماع الغِيبة والدفاع عن الغائب بالكلام الحسن الطيب، ليكافئه الله بالعتق من النيران، والفوز بالجنان.

وأخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي الدرداء ﷺ عن النبي ﷺ قال: **" مَن ردَّ[٢] عَن عِرضِ أخيهِ ردَّ اللَّهُ عن وجهِهِ النَّارَ يومَ القيامةِ ".** (صحيح الجامع: ٦٢٦٢) (صحيح الترمذي: ١٩٣١)

وأخرج الترمذي والبيهقي عن أبي الدرداء ﷺ أن النبي ﷺ قال: **" من ردَّ عن عِرْض أخيه، كان له حجابا من النار".** (صحيح الجامع:٦٢٦٣)

قال الصنعاني-رحمه الله-: وقول النبي ﷺ:" **من ردَّ عن عرض أخيه**" أي غيبة تُقال فيه." **كان**" اللسان." **له حجابًا**" يمنعه "**من النار**"، وسواء ردَّ عن عِرْضه وهو غائب أو وهو حاضر، والأول أفضل، وهذا في الردِّ عن عرضه، وبه يُعلم أن المنع عن ماله ودمه أفضل وأعظم عند الله أجرا ".

قال المناوي-رحمه الله- في "فيض القدير:٦/١٣٥": " والسبب في ذلك أن عِرض المؤمن كَدَمِهِ، فمَن هتك عرضه فكأنه سفك دمه، ومَن عمل على صون عرضه، فكأنه صان دمه، فيُجازى على ذلك بصونه عن النار يوم القيامة ". اهـ

١- ذبَّ: أي دفع كلام السوء عن أخيه المسلم.

٢- ردَّ: أي نهر القائل وردعه وزجره وأسكته عن باطله.

وأخرج ابن حبان وابن أبي الدنيا عن النبي ﷺ قال: " مَن ذبَّ عن عِرض أخيه؛ ردَّ الله عنه عذاب النار يوم القيامة، وتلا رسول الله ﷺ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الروم:٤٧)". (صحيح الترغيب والترهيب: ٢٨٤٨)

وأخرج البيهقي في "الشعب"، والضياء في "المختارة" عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: " مَن نصر أخاه المسلم بظهر بالغيب؛ نصره الله في الدنيا والآخرة ". (صحيح الجامع: ٦٥٧٤) (السلسلة الصحيحة:١٢١٧)

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود من حديث جابر وأبى طلحة بن سهل -رضي الله عنهما- عن رسول الله ﷺ قال: " ما مِن امرئٍ يخذلُ مسلمًا في موطنٍ يُنتقَصُ فيه من عِرضِه، ويُنتهَكُ فيه من حُرمته، إلا خذله اللهُ في موطنٍ يحب فيه نُصرتَه، وما مِن امرئٍ ينصر مسلمًا في موطنٍ يُنتقَصُ فيه من عِرضِه، ويُنتهَكُ فيه من حُرمته، إلا نصره اللهُ في موطنٍ يحبُّ فيه نُصرته ". (صحيح الجامع:٥٦٩٠)

قال المناوي-رحمه الله-: " وينتهك فيه من حُرْمَتِه" بأن يُتكلم فيه بما لا يحل، والحرمة هنا ما لا يحل انتهاكه،" إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته" أي في موضع يكون فيه أحوج لنصرته وهو يوم القيامة، فخذلان المؤمن حرام شديد التحريم،" وما من أحد ينصر مسلما في موطن ينتقص فيه من عرضه، وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته" وهو يوم القيامة، جزاءً وِفاقا". اهـ

فالذب عن أخيه المسلم في غيبته سبب لنصرة الله تعالى وعونه للعبد.

١٢- فضل دعاء المسلم لأخيه المسلم بظهر الغيب:

فقد أخرج الإمام مسلم عن أم الدرداء -رضي الله عنها- أنَّها قالت لصفوان أتريد الحج العام؟ قال: فقلت: نعم، قالت: فادعُ الله لنا بخير فإنَّ النبي ﷺ كان يقول: " دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابةٌ، عند رأسه مَلَكٌ كلَّما دعا لأخيه بخير قال المَلَكُ الموكَّلُ به: آمين، ولك بمثل ".

وأخرج الإمام مسلم أيضًا في صحيحه عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب، إلاَّ قال المَلَك: ولك بمثل ".

وأخرج البزار من حديث عمران بن حصين ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " دُعاء الأخ لأخيهِ بظهر الغيب لا يُردُّ ". (صحيح الجامع: ٣٣٧٩) (السلسلة الصحيحة:١٣٣٩)

عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ-رضي الله عنها- قَالَتْ: كَانَ لِأَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ سِتُّونَ وَثَلَاثُمِائَةِ خَلِيلٍ فِي اللَّهِ. يَدْعُو لَهُمْ فِي الصَّلَاةِ، فَقُلْتُ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ رَجُلٌ يَدْعُو لِأَخِيهِ فِي الْغَيْبِ إِلَّا وَكَّلَ اللَّهُ بِهِ مَلَكَيْنِ يَقُولَانِ: وَلَكَ بِمِثْلٍ. أَفَلَا أَرْغَبُ أَنْ تَدْعُوَ لِي الْمَلَائِكَةُ ". (سير أعلام النبلاء للذهبي:٢/٣٥١)

١٣- فضل من حمى مؤمناً من منافقٍ:

أخرج الإمام أحمد وأبو داود واللفظ له من حديث معاذ بن أنس الجهني ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " من حمى مؤمنًا من منافقٍ، بعث اللهُ ملكًا يحمي لحمَه يومَ القيامةِ من نارِ جهنمَ، ومن رمى مسلمًا بشيءٍ يريدُ شينَه به حبسَه اللهُ على جسرِ جهنمَ حتى يخرجَ مما قال ".

(صحيح أبي داود: ٤٨٨٣)(حسنه الألباني في المشكاة:٤٩٨٦)

١٤- فضل الإحسان إلى الجار:

قال تعالى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ (النساء: ٣٦)

قال السعدي -رحمه الله- في تفسيره: وقوله تعالى: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾ أي: الجار القريب الذي له حقان حق الجوار وحق القرابة، فله على جاره حق وإحسان راجع إلى العرف. ﴿و﴾ كذلك ﴿الْجَارِ الْجُنُبِ﴾ أي: الذي ليس له قرابة. وكلما كان الجار أقرب بابًا كان آكد حقًّا، فينبغي للجار أن يتعاهد جاره بالهدية والصدقة والدعوة واللطافة بالأقوال والأفعال وعدم أذيته بقول أو فعل. فالإحسان إلى الجار خلق كريم يهيئ القلوب إلى الخير، وحين يشعر الجارُ بسلام مع جاره ويراه يحسن إليه يطمئن قلبه وترتاح نفسه وينشرح صدره ". اهـ

- **ولفضل الإحسان إلى الجار فإن جبريل -عليه السلام- كان يوصي النبي ﷺ بالجار، حتى ظن النبي ﷺ أن الجار سيورث جاره.**

فقد أخرج الإمام أحمد عن رجل من الأنصار قال: " خرجت مع أهلي أريد النبي ﷺ وإذا به قائم، وإذا رجل مُقبل عليه، فظننتُ أن له حاجة، فوالله لقد قام رسول الله ﷺ حتى جعلت أرثي له من طول القيام، ثم انصرف فقمتُ إليه فقلت: يا رسول الله لقد قام بك هذا الرجل حتى جعلت أرثي لك من طول القيام، قال: أتدري من هذا؟ قال: لا، قال: جبريل، مازال يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سَيُوِّرثه(١)، أما إنك لو سلمتَ عليه لرد عليك السلام ". (صحيح الترغيب والترهيب:٢٥٧٢)

وأخرج البخاري ومسلم عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: " ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننتُ أنه سَيُوَرِّثُهُ ".

١ـ أنه سَيُوِّرثه: أي: ظننت أنه سيبلغني عن الله الأمر بتوريث الجار جاره، وفي هذا توكيدٌ عظيم على الحث على رعاية حقوقه.

أ- فالمسلم الحق هو الذي يُحسن إلى جاره:

فقد أخرج ابن ماجه من حديث أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ: " كُنْ وَرِعًا تكن أعبدَ الناس، وكن قَنِعًا تكن أشكرَ الناسِ، وأحِبَّ للناس ما تحبُّ لنفسك تكن مؤمنًا، وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلمًا".

وأخرج ابن ماجه من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: " يا أبا هريرة! كُن ورعًا تكن من أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن من أغنى الناس، وأحب للمسلمين والمؤمنين ما تحب لنفسك وأهل بيتك، واكره لهم ما تكره لنفسك وأهل بيتك تكن مؤمنًا، وجاور مَن جاوروك بإحسان تكن مسلمًا، وإيَّاك وكثرة الضحك فإن كثرة الضحك فساد القلب ".

ومن صور إحسان الجار إلى الجار: تعهده بالهدية بين الحين والآخر:

فالهدية إلي الجار طريق إلي المحبة والألفة، وهي تأسر القلب وتملك الفؤاد، ولذلك جاءت الأحاديث مصرحة بذلك.

فقد أخرج الإمام مسلم عن أبي ذرﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " يا أبا ذر! إذا طبخت مرقة[1] فأكثر ماءها، وتعاهد جيرانك ".

وأخرج البخاري ومسلم عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: " والله إن كُنا لننظرُ إلى الهلال، ثم الهلال، ثم الهلال ثلاثة أهلةٍ في شهرين، وما أوقدَ في أبيات رسولِ اللهِ نارٌ، قال: قلتُ يا خالةُ! فما كان يُعَيِّشُكُم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسولِ اللهِ ﷺ جيران من الأنصار، وكانت لهم منا منَائحُ[2]، فكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها، فَيسْقِيناهُ ".

وأخرج أبو داود عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول اللهﷺ: " لا تَحِل الصدقةُ لغنيٍّ إلا في سبيل الله، وابن السبيل، أو جار فقير يُتصدَق عليه، فيُهدي لك أو يدعوك ".

ب- جعل الإسلام الإحسان إلى الجار من علامات أهل الإيمان:

فقد أخرج الإمام مسلم عن أَبي شُريْحٍ الخُزاعيِّ أن النبي ﷺ قال: " مَن كان يؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فلْيُكرِمْ ضيفَه، ثلاثَ مراتٍ، مَن كان يؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فلْيُحسِنْ إلى جارِه، ثلاثَ مراتٍ، مَن كان يؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فلْيقُلْ خيرًا أو لِيَسكُتْ، ثلاثَ مراتٍ ".

- *وفي رواية أخرى عند البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:* " مَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فلا يُؤْذِ جارَهُ، ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليَومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أوْ لِيَصْمُتْ ".

١- مرقة: أي: ذا مرق من لحم دجاج، وغنم... ونحو ذلك.
٢- منائح: هي الشاة أو الناقة تعطي اللبن.

ويدل على هذا أيضًا ما رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " مَن يأخذ عني هذه الكلمات فيعمل بهن أو يُعلِّم مَن يعمل بهن، فقال أبو هريرة ﷺ: قلت: أنا يا رسول الله! فأخذ بيدي فعد خمسًا، فقال: اتقِ المحارم تكن أعبدَ الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنًا، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلمًا، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب ". (السلسلة الصحيحة:٩٣٠)

جـ- النبي ﷺ ينفي الإيمان عمن يؤذي جاره.

كما في الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي شريح الكعبي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " لا يؤمن والله لا يؤمن، قيل: يا رسول الله لقد خاب وخسر، مَن هذا؟ قال: مَن لا يأمن جاره بوائقه[1]، قالوا: وما بوائقه، قال: شره ".

وأخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل: من يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه ".

– وفي رواية لمسلم قال: " لا يدخُل الجنَّة مَن لا يأمن جاره بوائقه ".

– وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: " من كان يؤمنُ بالله واليوم الآخر، فلا يؤذِ جارَهُ ".

وأخرج الإمام مسلم عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " والذي نفسي بيده، لا يؤمنُ عبدٌ حتى يُحبَّ لجاره – أو قال: لأخيه– ما يحبُّ لنفسه ".

د- مَن أراد أن يحبه الله ورسوله فليحسن إلي جاره:

فقد أخرج الطبراني في "الأوسط" و"الكبير" من حديث عبدالرحمن بن أبي قراد السلمي ﷺ أن النبي ﷺ قال: " إن أحببتم أن يُحبَّكم الله ورسوله فَأَدُّوا إذا ائتمنتم، واصدُقوا إذا حدَّثتم، وأحْسِنُوا جوار مَن جاوركم". (صحيح الجامع: ١٤٠٩)

هـ- حسن الجوار يزيد في العمر ويعمّر الديار:

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو يعلى بسند صحيح عن عائشة–رضي الله عنها– أن النبي ﷺ قال: " إنَّهُ مَن أُعْطيَ حظَّهُ مِنَ الرِّفقِ، فقَدْ أُعْطيَ حظَّهُ من خيرِ الدُّنيا والآخِرةِ، وصلةُ الرَّحمِ، وحُسنُ الخُلُقِ وحُسنُ الجِوارِ، يُعمِّرانِ الدِّيارَ، ويزيدانِ في الأعمارِ ". (السلسلة الصحيحة: ٥١٩) (صحيح الجامع: ٣٧٦٧)

١ـ بوائقه: غدره، وخيانته، وظلمه، وعدوانه، وفُسِّرت بشروره، والمفرد: بائقة.

و- خَيْرُ الجِيرَانِ عِنْدَ اللَّه تَعَالَى خيرُهُمْ لجارِه:

أخرج الإمام أحمد والترمذي بسند صحيح عن عبدِاللَّه بن عمرو -رضي اللَّه عنهما- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: " خَيْرُ الأَصحاب عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى خَيْرُهُمْ لصاحِبِه، وخَيْرُ الجِيرَانِ عِنْدَ اللَّه تَعَالَى خيْرُهُمْ لجارِهِ ".

(السلسلة الصحيحة:١٠٣) (صحيح الجامع: ٣٢٧٠)

وقفة: باع أبو الجهم العدوي داره بمئة ألف درهم، ثم قال: فبكم تشترون جوار سعيد ابن العاص؟ قالوا: وهل يُشترى جوار قط؟! قال: ردوا علي داري، ثُمَّ خذوا مالكم، لا أدع جوار رجل؛ إن قعدت، سأل عني، وإن رآني، رحب بي، وإن غبتُ، حفظني، وإن شهدت، قربني، وإن سألته، قضى حاجتي، وإن لم أسأله، بدأني، وإن نابتني جائحة، فرج عني. فبلغ ذلك سعيد بن العاص، فبعث إليه بمئة ألف درهم.

(وفيات الأعيان لابن خلكان:٢/٥٣٥)

ز- أذى الجار سبب دخول النار:

أخرج الإمام أحمد وابن حبان بسند صحيح عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رجلٌ: يا رسول الله! إن فلانة تكثر من صلاتها وصدقتها وصيامها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها، قال: هي في النار، قال: يا رسول الله. فإن فلانةً يُذكرُ من قلةِ صيامها وصلاتها، وأنها تتصدقُ بالأثوارِ من الأقِطِ[1]، ولا تؤذي جيرانها. قال: هي في الجنة ". (صحيح الترغيب:٢٥٦٠)

حـ- أذى الجار سبب لعدم دخول الجنة:

أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: " لا يَدْخُلُ الجنة من لا يأْمَنُ جارُهُ بوائقَهُ ".

بل يقسم النبي ﷺ بذلك، ففي رواية الإمام أحمد وأبو يعلى والبزار بسند جيد: " والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة عبدٌ لا يأمنُ جارُهٌ بوائقه ".

ط- من أراد أن يدخل الجنة فليحسن إلي جاره:

فقد أخرج البيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة ﷺ قال: " أن رجلًا قال: يا رسول الله! دلَّني على عمل إذا عمِلتُ به دخلت الجنة، فقال: كن محسنًا". فقال: يا رسول الله! كيف أعلم أني مُحسن؟ قال: سل جيرانك فإن قالوا إنك محسن، فأنت محسن، أو قالوا: إنك مسيء فأنت مسيء ".

وأخرج الإمام أحمد وابن ماجه بسند صحيح عن ابن مسعود ﷺ قال: " قال رجلٌ للنبي: كيف لي أن أعلمَ إذا أحسنتُ أو أسأتُ؟ قال: إذا سمعتَ جيرانكَ يقولون: قد أحسنت فقد أحسنت، وإذا سمعتَهُم يقولون: أسأت فقد أسأت ". (الصحيحة:١٣٢٧)

فجارك هو الميزان أو المؤشر الذي من خلاله تستطيع أن تعرف حقيقة نفسك، وهل أنت محسن أم لا؟

١- أثوار الأقِطِ: هي القطع من اللبن المجمد المجفَّف.

١٥- فضل إكرام الضيف:

- أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " مَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليومِ الآخِرِ فلا يُؤْذِ جارَهُ، ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، ومَن كانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أوْ لِيَصْمُتْ ".

وأخرج البخاري من حديث وهب بن عبد الله السوائي أبو جحيفة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " آخَى النَّبيُّ ﷺ بيْنَ سَلْمَانَ وأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سَلْمَانُ أبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً، فَقَالَ لَهَا: ما شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أخُوكَ أبو الدَّرْدَاءِ ليسَ له حَاجَةٌ في الدُّنْيَا. فَجَاءَ أبو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ له طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ، قَالَ: فإنِّي صَائِمٌ، قَالَ: ما أنَا بآكِلٍ حتَّى تَأْكُلَ، قَالَ: فأكَلَ، فَلَمَّا كانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أبو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ، قَالَ: نَمْ، فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ، فَقَالَ: نَمْ، فَلَمَّا كانَ مِن آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ سَلْمَانُ: قُمِ الآنَ. فَصَلَّيَا فَقَالَ له سَلْمَانُ: إنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، ولِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، ولِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فأعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ. فأتَى النبيَّ ﷺ، فَذَكَرَ ذلكَ له، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: صَدَقَ سَلْمَانُ.

- وفي رواية: " إنَّ لنَفْسِكَ عليكَ حقًّا، ولِرَبِّكَ عليكَ حقًّا، ولِضَيْفِكَ عليكَ حقًّا، وإنَّ لأهلِكَ عليكَ حقًّا؛ فأَعْطِ كلَّ ذي حقٍّ حقَّهُ ".

وأخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: " دَخَلَ عَلَيَّ رَسولُ اللَّهِ ﷺ فقالَ: ألَمْ أُخْبَرْ أنَّكَ تَقُومُ اللَّيْلَ وتَصُومُ النَّهارَ قُلتُ: بَلَى، قالَ: فلا تَفْعَلْ، قُمْ ونَمْ، وصُمْ وأَفْطِرْ، فإنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وإنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وإنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وإنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وإنَّكَ عَسَى أنْ يَطُولَ بكَ عُمُرٌ، وإنَّ مِن حَسْبِكَ أنْ تَصُومَ مِن كُلِّ شَهْرٍ ثَلاثَةَ أيّامٍ، فإنَّ بكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أمْثالِها، فَذلكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ قالَ: فَشَدَّدْتُ فَشُدِّدَ عَلَيَّ، فَقُلتُ: فإنِّي أُطِيقُ غيرَ ذلكَ، قالَ: فَصُمْ مِن كُلِّ جُمُعَةٍ ثَلاثَةَ أيّامٍ قالَ: فَشَدَّدْتُ فَشُدِّدَ عَلَيَّ، قُلتُ: أُطِيقُ غيرَ ذلكَ، قالَ: فَصُمْ صَوْمَ نَبِيِّ اللَّهِ داوُدَ قُلتُ: وما صَوْمُ نَبِيِّ اللَّهِ داوُدَ؟ قالَ: نِصْفُ الدَّهْرِ.

أ- الله تعالى يحب من يكرم ضيفه:

أخرج ابن عساكر والضياء من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " إنَّ اللهَ كريمٌ يُحبُّ الكُرماءَ، جوادٌ يُحبُّ الجَوْدَةَ، يُحبُّ معاليَ الأخلاقِ، و يكرهُ سَفْسافَها[1] ". (صحيح الجامع: ١٨٠٠)

وأخرج الطبراني والحاكم واللفظ لهما والبيهقي من حديث سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:
" إنَّ اللَّهَ كريمٌ يُحِبُّ الكرمَ، ويُحِبُّ معاليَ الأخلاقِ، ويكرَهُ سفْسافَها ". (قال شعيب الأرناؤوط: صحيح بشواهده)

١- ويَكرَهُ سَفسافَها: مِنَ الأخلاقِ رَديئَها وحَقيرَها، والتَّوافِهِ التي تُنبئُ عن الخِسَّةِ والدَّناءةِ، وعَدَمِ المُروءةِ، مِثلَ: الإصرارِ على الذُّنوبِ، والغِيبةِ والنَّميمةِ، وتَدَخُّلِ المَرءِ فيما لا يَعنيه.

ب- لا خير فيمن لا يكرم ضيفه:

أخرج الإمام أَحْمَدُ والبيهقي في" شعب الإيمان من حديث عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُضِيفُ ". (صحيح الجامع:٧٤٩٢) (السلسلة الصحيحة:٢٤٣٤)

جـ- خير الناس من يكرم ضيفه ويحسن إليه:

أخرج الإمام أحمد من حديث ابْنَ عَبَّاسٍ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ:" خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ تَبُوكَ فَقَالَ:" مَا فِي النَّاسِ مِثْلُ رَجُلٍ أَخَذَ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فَيُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَيَجْتَنِبُ شُرُورَ النَّاسِ، وَمِثْلُ رَجُلٍ بَادٍ فِي غَنَمِهِ يَقْرِي ضَيْفَهُ وَيُؤَدِّي حَقَّهُ"، قَالَ: قُلْتُ: أَقَالَهَا؟ قَالَ: قَالَهَا، قَالَ: قُلْتُ: أَقَالَهَا؟ قَالَ: قَالَهَا، قَالَ: قُلْتُ: أَقَالَهَا؟ قَالَ: قَالَهَا، فَكَبَّرْتُ اللَّهَ وَحَمِدْتُ اللَّهَ وَشَكَرْتُ ". (السلسلة الصحيحة:٢٢٥٩)

وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ قال:" أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَبَعَثَ إلى نِسَائِهِ، فَقُلْنَ: ما معنَا إلَّا المَاءُ، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: مَن يَضُمُّ -أوْ يُضِيفُ- هذا؟ فَقالَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصَارِ: أنَا، فَانْطَلَقَ به إلى امْرَأَتِهِ، فَقالَ: أكْرِمِي ضَيْفَ رَسولِ اللَّهِ ﷺ، فَقالَتْ: ما عِنْدَنَا إلَّا قُوتُ صِبْيَانِي، فَقالَ: هَيِّئِي طَعَامَكِ، وأَصْبِحِي سِرَاجَكِ، ونَوِّمِي صِبْيَانَكِ إذَا أرَادُوا عَشَاءً، فَهَيَّأَتْ طَعَامَهَا، وأَصْبَحَتْ سِرَاجَهَا، ونَوَّمَتْ صِبْيَانَهَا، ثُمَّ قَامَتْ كَأنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فأطْفَأَتْهُ، فَجَعَلَا يُرِيَانِهِ أنَّهُما يَأْكُلَانِ، فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ، فَلَمَّا أصْبَحَ غَدَا إلى رَسولِ اللَّهِ ﷺ، فَقالَ: ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ -أوْ عَجِبَ- مِن فَعَالِكُما. فأنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر:٩)

- وفي رواية عند ابن حبان في صحيحه بلفظ:" جاء رجُلٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال: إنِّي مجهودٌ[١] فأرسَل إلى بعضِ نسائِه فقالت: والَّذي بعَثك بالحقِّ نبيًّا ما عندي إلَّا ماءٌ ثمَّ أرسَل إلى أخرى فقالت مِثْلَ ذلك حتَّى قُلْنَ كلُّهنَّ مِثلَ ذلك فقال:" مَن يُضيِّفُ هذا اللَّيلةَ رحِمه اللهُ ". فقام رجُلٌ مِن الأنصارِ فقال: أنا يا رسولَ اللهِ فانطلَق به إلى رَحْلِه فقال لامرأتِه: هل عندكِ شيءٌ؟ قالت: لا إلَّا قوتَ صبياني قال: فعَلِّليهم بشيءٍ فإذا دخَل ضيفُنا فأضيئي السِّراجَ وأريه أنَّا نأكُلُ فإذا أهوى ليأكُلَ قومي إلى السِّراجِ حتَّى تُطفئيه قال: فقعَدوا وأكَل الضَّيفُ فلمَّا أصبَح غدا[٢] على النَّبيِّ ﷺ فقال:" لقد عجِب اللهُ مِن صنيعِكما اللَّيلةَ ". (صحيح ابن حبان: ٥٢٨٦)

١- مجهود: أي أصابني الجهد، وهو المشقة والحاجة وسوء العيش والجوع.
٢- غَدا: أي: ذهَب إلى رَسولِ اللهِ ﷺ صباحًا.

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة.

وأسأل الله– تعالى– أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها......إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي:

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيبًا

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله – تعالى– أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك